

آخر الأبطال

القديس

آخر الأبطال

رواية بوليسية

للكاتب الانجليزى
ليسلى تشارتريس

الفصل الأول

القبلة

يقال فى هذه الأيام التى يحيا فيها الناس حياة نشيطة سريعة ، أن النبأ أو الحادث مهما بلغت أهميته وخطورته لا يمكن أن يسترعى انتباه الناس أو يعلق بأذهانهم أكثر من أسبوع واحد .. ولعل ذلك هو السبب فى أن أكثر الصحفيين أصبحوا يودعون الشباب ويستقبلون الشيخوخة قبل الأوان . فهم يقتلون أنفسهم فى التفكير والبحث ليل نهار عن مفاجآت جديدة تفوق سابقاتها فى لفت انظار القراء وإثارة فضولهم واهتمامهم . فاذا عز عليهم العثور على هذه المفاجآت اخترعوها اختراعا وقدموها الى القراء محبوكة الأطراف كأنها حقائق واقعية .

على أن الصحفيين الانجليز لم ينسوا فترة الراحة التى استمتعوا بها عقب ظهور المغامر الجرىء الذى اشتهر باسم (القديس) .. فقد وفر عليهم عناء البحث والتفكير فى مفاجآت جديدة . وكانت مغامراته الجريئة وحوادثه الطريفة تتوالى ويأخذ بعضها برقاب بعض .. وكل منها لا تقل غرابة عن سابقاتها .. فلا تكاد تخف الضجة التى تحدثها احدى مجازفاته .. حتى يثير ضجة جديدة .. بمجازفة أشد جرأة مما سبقها ..

وقد استمرت هذه المغامرات ثلاثة شهور متوالية . كان القديس خلالها يعمل على احقاق الحق بطريقته الخاصة . ودون أن ينسى نفسه . فكان أكثر ضحاياه من

أولئك الذين يأكلون أموال الناس بالباطل .. أو من أولئك الذين لا ترتفع نزاهتهم وأساليبهم العملية فوق الشك .

على انه كانت هناك بعض حالات لم يجد فيها القديس نفسه بحاجة الى التهديد والوعيد لاسكات ضحاياه .. ولذلك لم يكن احدهم يجسر على الشكوى .. خوفا من الفضيحة .

من ذلك مثلا حادث ذلك الرجل المدعو (جولتر) .

كان جولتر هذا فوضويا من النوع الخطر .. وكان يفخر بأنه نزل ضيفا على جميع السجون فى أوروبا .

ولم يكن هذا الفوضوى ينتمى الى هيئة سياسية معينة .. أو يدين بمبدأ اجتماعى خاص . بل كان كل همه أن يقتل ويحرق ويخرب وكفى . فهو مجرم شاذ من أولئك المجرمين الذى تعب علماء النفس فى فهم نفسيتهم . وتحليل الغرائز التى تدفعهم الى جرائم لا تفيدهم شخصيا .. بل ولا تفيد احدا على الاطلاق .

وقد تنبه رجال العدالة الى وجود هذا المجرم الخطر بعد بضعة حرائق وحوادث انفجار وقعت فى بعض المصانع الانجليزية . فوضع جولتر تحت المراقبة .. ولكن من سوء الحظ أن البوليس السرى المكلف بمراقبته فقد أثره فى ذات اليوم الذى أعلنت فيه الصحف أن الأرشيدوق رودلف ولى عهد بافاريا — وكان يومئذ فى زيارة انجلترا — سيتناول طعام الغداء على مائدة محافظ لندن .

وكان من المقرر أن يمر موكب الأرشيدوق بشارع (ستراند) وأن ينفذ الى شارع (فليت ستريت) ثم يقصد توا الى بيت المحافظ .

وفى الوقت الذى اخذ فيه رجال البوليس يقلبون كل حجر فى البحث عن (جولتر) .. كان هذا الأخير قد

استطاع الوصول الى سقف منزل يطل على شارع (فليت ستريت) .

تمدد جولتر فوق السطح .. وأخذ يرقب مرور الموكب بفارغ الصبر .

وكان جولتر رجلا حريصا مفكرا .. يعرف الشيء الكثير عن طريقة استخدام القنابل والديناميت . وكان أول همه بعد أن صعد الى سقف المنزل . أنه حسب ارتفاع السقف عن الأرض .. ثم حسب الوقت الذى يستغرقه سقوط القنبلة الى أرض الشارع .. ووضع فتيل القنبلة بحيث يتم اشتعال هذا الفتيل عندما تصل القنبلة الى الأرض . فيحدث الانفجار فى الحال .

واطمأن جولتر الى تدابيره .. وراح يدخن فى هدوء كان ذلك قبل ربع ساعة تقريبا من الموعد الذى حدده جولتر لمرور الموكب فى تلك البقعة . وكان الشارع غاصا بالجمهور .. فراح جولتر يتصور الفزع الذى سوف يدب فى قلوب جمهور الشعب بعد انفجار القنبلة .

قال لنفسه وهو يبتسم :

— سيكون المنظر عجيبا حقا .

وهنا سمع صوتا هادئا يقول :

— نعم .. سيكون المنظر عجيبا من الوجهة الفنية .

حول جولتر رأسه بحدة .

لم يكن قد سمع أية حركة تنبهه الى قدوم ذلك الرجل الأنيق . الذى رآه الآن واقفا بالقرب منه .. وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة .

كان لذلك الصوت الهادىء فى أذنيه دوى كدوى القنبلة .. فاضطربت تأملاته أشد مما توقع أن تضطرب

الجماهير بعد انفجار القنبلة .

مد جولتر يده الى جيبه المنتفخ بالقنبلة .. فقال له الرجل المجهول مشجعا .. وهو يلوح بمسدس فى يده :

— نعم .. نعم .. ايها الصديق العزيز .. ناولنى هذه التفاحة .

فاطاع جولتر . واخرج القنبلة من جيبه وقدمها الى الرجل المجهول فتناولها هذا وهو يقول :

— هذا حسن .

وظل جولتر يحملق نحو الرجل المجهول . وينتظر فرصة ملائمة للهجوم عليه واختطاف المسدس من يده . ولكن هذه الفرصة لم تسنح ابدا . فقد وضع الرجل المجهول القنبلة فى جيبه .. وتوقف لحظة كأنه يفكر .. ثم عاد فاخرج القنبلة من جيبه .. وقدمها الى الفوضوى وهو يقول :

— ها هى قنبلتك يا صاح .

تدهش جولتر . ولم يفهم لهذا التصرف معنى ..

نظر الى الرجل المجهول فى ارتياب وقلق .

كان قد توهم فى البداية انه من رجال البوليس السرى .. ولكن رجال البوليس السرى لا يضعون القنابل بين ايدى الفوضويين .

سأل :

— لماذا رددت الى القنبلة ؟

فاجابه الرجل المجهول :

— اننى فعلت ذلك لاسباب خاصة .

وهنا احمر وجه جولتر بعد امتقاع . وغمغم :

— اذن فانت لست من رجال البوليس ؟

فابتسم الرجل المجهول واجاب :

— لسوء حظك اننى لست من رجال البوليس .. ولكنى

لابد انك سمعت عنى .. انا ادعى القديس .

ووضع يده فى جيبه بسرعة .. واخرج منه قطعة طباشير رسم بها علامته المشهورة على مدخنة المنزل فنظر اليها هذا فى مزيج من الرعب والدهشة ..

واستطرد القديس قائلا :

— انت رجل تحجر قلبه وتنكر لابسط العواطف الانسانية .. انت مخرب بالغريزة .. ومجرم معتوه تنتقل لمجرد الشهوة الى سفك الدماء ولو كان لك مبدأ تعمل على تحقيقه بمثل هذه الجرائم لاسلمتك الى رجال البوليس الذين يبحثون عنك الآن .. ولكنك مجرم لا عذر له ..

* * *

وتركه ومضى بمثل السرعة التى جاء بها .. وظل جولتر فى مكانه حائرا مضطربا .

وتردد الفوضوى لحظة بين ان يبقى او يلوذ بالفرار .. ثم سمع فى هذه اللحظة تصفيق الجمهور فى الشارع ايذانا باقتراب الموكب .. فغلبت فيه غريزة الاجرام والرغبة فى سفك الدماء .. وقرر ان يبقى وان ينفذ جريمته ..

اطل برأسه فرأى الموكب يقترب . ورأى الجماهير تتزاحم وتتماوج لرؤية الأرشيدوق رودلف .. اول امير المانى يزور لندن بعد الحرب الكبرى ..

نسى او تناسى القديس وتصرفاته . التى لم يفهم لها معنى .. واخرج القنبلة من جيبه .. ونظر الى ساعته الدقيقة التى كان يعتمد عليها فى مثل هذه الظروف لتقدير المسافات والابعاد ..

واقترب الموكب .. ومرت السيارة الأولى والثانية ..

وجاءت السـابرة الثـالثة .. وكان الأرشـيدوق جالسـة فيهـا يحيى الجماهير التى اصطفت لتحيته ..
عرفه جولتر بثيابه الرسمية .. فاشعل فتيل القنبلة .

*   *   *

قالت جريدة (الديلى ريكورد) بعد ايام :
« سوف تبقى حقيقة هذا الاعتداء سرا من الاسرار ما لم يتطوع القديس لاماطة اللثام عنهـا .. والى ان يفعل القديس ذلك .. يجب ان نقتنع بالمعلومات التى اهتدى اليهـا رجال البوليس المكلفون بتحقيق الحادث ..
وتتلخص هذه المعلومات فى ان علامة القديس التى وجدت على المدخنة فوق سطح المنزل تدل دلالة صريحة على ان هذا المغامر الجرىء استطاع بطريقة ما ان يفسد فتيل القنبلة التى حاول جولتر ان يقتل بها الأرشيدوق رودلف . وكانت النتيجة ان القنبلة انفجرت فى يد جولتر فمزقته شر ممزق ..
« ومهما اختلفت الآراء فى عمل هذا المغامر الذى يصر على تنفيذ العدالة بطريقته الشاذة .. فالحقيقة التى لا شك فيهـا هى انه انقذ حياة ضيفنا العظيم وحاول دون تلبد جو السياسة الأوربية بسحب نحن الآن فى غنى عنهـا .. » .

*   *   *

وقد اصبح اسم القديس بعد هذا الحادث على كل لسان .. وتوقع الناس ان يدلى اليهم هذا المغامر بتفاصيل الحادث .. ثم انقضت الأيام والأسابيع ..

وحبطت النتيجة .. ونسى الناس حادث الاعتداء كما اعتادوا ان ينسوا كل شىء ..
وفى احد الايام .. بعد ثلاثة شهور .. طلعت جريدة (الديلى ريكورد) على الناس بقصة من اعجب قصص البطولة أوردت فيها حقيقة حادث الاعتداء على الارشيدوق .. وضمنتها المصادفة الغريبة التى ساقت سيمون تمبلار المعروف باسم القديس واثنين من اخلص اصدقائه الى مغامرة دولية من اعجب المغامرات .

الفصل الثانى

السحابة البنفسجية

تناول القديس وصديقته باتريشيا هولم طعام العشاء فى (كوبهام) على مائدة صاحبهما (نورمان كينت) .
ونورمان كينت هو احد رجلين توثقت اواصر الصداقة بينهما وبين القديس .. اما الرجل الثانى فهو (روجر كونواى) .. وقد احبهما القديس لاخلاص اولهما .. وسذاجة الثانى ..
وكان الليل قد اوشك على الانتصاف عندما انصرف تمبلار وباتريشيا من بيت (نورمان كينت) .. وركبا السيارة ..
واخذ تمبلار يقود السيارة فى هدوء وبطء وقد لذ له الاستمتاع بضوء القمر ونسيم الليل ..
واستولى النعاس على باتريشيا .. فاغمضت عينيها واستسلمت للنوم ..
واجتازت السيارة بضعة اميال .. واقتربت من

ضاحية (ايشر) ..

وفجأة . اوقف القديس السيارة .. فاستوقفته باتريشيا ..

يكون الفضول الشديد فى بعض الأحيان من عوامل نجاح الانسان فى الحياة .. ويكون فى احيان اخرى سببا فى تورط الانسان فى مازق هو فى غنى عنها .. وقد كان القديس رجلا شديد الفضول بطبيعته .. فهو لا يكاد يرى شيئا خارجا عن المألوف حتى يضع فيه أنفه .. ليعرف اسباب شذوذه .. ولذلك كان من الطبيعى ان يوقف سيارته ليتامل ذلك الضوء الوهاج غير المألوف.

كان الضوء ينبعث من نافذة منزل تحيط به الاشجار .. وقد خطف هذا الضوء بصر القديس وهو يقود السيارة .. فتوقف عن مواصلة السير واشعل لفافة تبغ .. ورجع بالسيارة الى الوراء .. حتى اصبح فى مواجهة النافذة ..

ولاحظت باتريشيا اتجاه نظراته .. ورأت الاشعة الضوئية الخاطفة . وسألت :

— وما هذا ؟!

فاجابها فى هدوء :

— ذلك ما اريد معرفته ..

وظلت الاشعة تنبعث وتتوارى .. بسرعة وانتظام .. واضطر تمبلار وباتريشيا اكثر من مرة ان يحجبا عيونهما بايديهما حتى لا يبهر الضوء الابيض بصرهما .

وارهف تمبلار اذنيه بحدة واهتمام .. ثم همس :

— انني اسمع كذلك صوت محرك كهربائى .

ووثب من السيارة . فامسكت باتريشيا بيده وسألت :

— الى اين انت ذاهب ؟

فابتسم واجاب :

— يجب ان ارى ما هنالك .. ان من الطبيعى ان يدير احد الناس فى بيته محركا لتوليد الكهرباء .. ولكن ليس من الطبيعى ان يكون المحرك بهذه القوة .. ولا ان يرسل مثل هذه الاشعة الوهاجة العجيبة .

— اذن سأذهب معك .

فهز كتفيه واجاب :

— تعالى اذا شئت .

وسار الاثنان فى طريق ضيق .. يقع المنزل فى نهايته .

وكانت تحيط بالمنزل حديقة مترامية الاطراف .. ذات اشجار باسقة .. فعالج تمبلار باب الحديقة حتى فتحه .. واقترب مع باتريشيا من الباب الداخلى .. ولكن نظرة واحدة الى هذا الباب .. كانت كافية لان تقنع تمبلار بأن من العبث ان يحاول فتح هذا الباب وهو لا يملك الادوات اللازمة .

دار مع باتريشيا حول المنزل بغية الوصول الى باب الخدم . ولكنه لم يكد ينحرف حول ركن المنزل . حتى راى نافذة ينبعث الضوء من فتحة فى ستارها .

اطل من خلال هذه الفتحة فى حرص وحذر .. وعندئذ وقع بصره على منظر ضاعف فضوله .

راى غرفة مترامية الاطراف .. قد غطيت ارضها بطبقة من الاسمنت المسلح .. وقد وقف فى احد اركان هذه الغرفة ثلاثة رجال احدهم قصير القامة بدين الجسم اصلع الرأس .. والثانى طويل القامة نحيفها يناهز الخامسة والاربعين من عمره .. والثالث شاب فى مقتبل العمر .. يمسك فى يده ورقة وقلما .

وكان هؤلاء الرجال الثلاثة ينقلون البصر فى صمت

وهدوء . بين عنزة شدت الى الجدار فى الناحية الاخرى من الغرفة .. ورجل اشيب الشعر رث الثياب يتراوح عمره بين الستين والثمانين .. وقد وقف بالقرب من لوحة عليها عشرات من المصابيح والازرار الكهربائية .

على ان القديس لم يهتم باولئك الرجال او بالعنزة كما اهتم بشيء آخر لا هو بالانسان ولا هو بالحيوان :

كان ذلك الشيء معلقا فوق الأرض فى منتصف المسافة بين الناحية التى وقف فيها الرجال الثلاثة .. والجدار الذى شدت اليه العنزة .. وقد اخذ هذا الشيء يتكمش ويتمدد كأن قوة هائلة تجيش فى جوفه .

حملق القديس نحو ذلك الشيء فوجده اشبه بسحابة كثيفة .. ولكنها ليست كالسحب التى تتلبد فى السماء .. فهى سحابة براقة بنفسجية اللون .. يتولد فى جوفها شرر سريع لا يلبث ان يتلاشى كما تتلاشى الشهب .

وقد خيل للقديس فى اول الامر ان هذه السحابة هى جسم غريب يحترق ويتآكل فى مكانه .. ولكنه ما لبث ان لاحظ انها تتحرك . وتتحرك فى تلك القاعة الفسيحة بسرعة عظيمة .. وتتمايل فى بعض الاحيان يمينا او يسارا .. ولكنها تتجه دائما نحو العنزة .

وحانت من القديس التفاتة نحو الرجل الاشيب ذى الثياب الرثة . فرآه يضغط بيسراه بعض الازرار الكهربية .. ويمسك فى يمناه لوحة معدنية ذات سطح لامع .. وكان سطحها موجها نحو السحابة البنفسجية ولاحظ القديس أن السحابة تتحرك يمينا او شمالا وفقا لحركة اللوحة المعدنية فى يد الرجل الاشيب . فادرك من ذلك ان هذه اللوحة هى التى تسيطر على حركة السحابة وما زالت السحابة تتحرك .. حتى لمست مقدمتها جسم

العنزة .. وعندئذ خيل للقديس انه يسمع فى جوف السحابة صوتا كصوت الغليان واستحالت العنزة فى اسرع من لمح البصر الى هيكل عظمى اسود ظل قائما لحظة يسيرة .. ثم انهار واستحال الى قبضة من الرماد ولحظة .. تبددت السحابة البنفسجية القاتلة .. وتلاشت من الوجود ..

ونظر القديس نحو الرجل الأشيب .. فرآه يضغط بعض الازرار . ويضع اللوحة المعدنية على الأرض .. ويتحدث الى الرجال الثلاثة الذين شهدوا هذه التجربة العجيبة .

ضغط القديس على ساعد باتريشيا وقال فى همس :

— يجب الآن ان ننصرف .. فقد رأينا الليلة ما فيه الكفاية ..

ولكنه كان مخطئا .. فان ما رآه لم يكن آخر تجارب تلك الليلة ..

ذلك انه ما كاد يتحول .. حتى رأى نفسه وجها لوجه امام عملاق ضخم الجسم .. فى يده مسدس .

لم يتردد القديس .. وعمل فى الحال على تصفية الموقف .. وذلك ما لم يتوقعه العملاق .. لان المألوف فى مثل هذه الحالة . عندما يصوب احد الناس مسدسه الى رأس الآخر .. ان يدور بين الاثنين حديث ينتهى اما بالتسليم او بالنضال .

ولكن القديس لم يكن من اولئك الذين يأخذون بالقواعد المألوفة .. فضرب ساعد العملاق ضربة اطاحت بالمسدس .. ثم عاجله بلكمة اخرى فى بطنه القته على الأرض .. وجذب ساعد باتريشيا .. واسرع بها الى الخارج .

وعندما اجتازا باب الحديقة .. وجد القديس امامه سيارة لم يكن قد رآها عندما دخل المنزل .. ورأى سائق

هـذه السـيارة واثقـا بالقرب منهـا .

ولمـا لم يكن فى عزم القديس ان يترك سـبيلا الى مطاردته .. فانه باغت السائق بوجمة فجائية ولكمه لكمة قاضية وهو يقول :

— معذرة يا صـاح .. ليس فى استطاعتى ان اجـاملك .

ووثب القديس وباتريشيا الى سـيارتهما .. وبعد دقيقة واحـدة .. كانت السـيارة تنهب بهما الارض باقصى سرعتها .

ولم تبطىء السـيارة الا عنـدما اقتربت من لنـدن وشـعر القديس بأنه اصبح فى مأمن من المطاردة .

وكانت باتريشيا ترقبـه طول الوقت .. ولا ترفع عينيهـا من وجهه .. وقد فهمت من نظراته وملامحه . والحـاحه فى الفرار أن الخطر الذى يتهددهمـا أعظم مما تصـورت أولا . ولم تجـد منـه ما يشجعهـا على الكلام . على ان السـيارة ما كادت تنحـدر بهمـا فى شـارع (بروك) حيث يوجـد بيت القديس حتى شـعرت باتريشيا بأنه مستحيل عليهـا أن تصمت اكثر مما صمتت .. فنطقت بالعبـارة التى كانت تتحير على شـفتيها منذ شـهدت تلك التجـربة العجيبـة .

قالت :

— يخيل الى اننى رايت من قبـل احـد اولئك الرجـال الاربعة .. او رايت صورته على الاقل .

فابتسم القديس وأجاب :

— من ايهم تتكلمين ؟ من الاسـتاذ فارجـان المخـترع الشهير .. أو السـير رولاندهيـل مدير قسم الأبحـاث الكيمـاوية بوزارة الدفـاع أو مسـتر ليسـتر هوم سميث وزير الحربيـة .. أو ذلك الشـاب الذى كان يقوم بمهمة السكرتير ويسـجل على الورق ملاحظات الوزير ؟

فحملقت باتريشـيا فى وجهه بدهشـة وقالت :

— يخيل الى انك عرفتهم جميعـا ..

— نعم .. لقد عرفتهم جميعـا من الصـور التى تنشرها الصحف .

فهزت رأسـها وقالت :

— ارى على وجهـك انك تبحث عن المتـاعب .. وان التجربة التى شهدناها الليلة ستكون بداية مغـامرة جـديدة

فأجابهـا فى هـدوء :

— اذا لم يكن ما رايته الليـلة حلمـا .. فان المغامرة الجـديدة التى تنتظرنى سـتكون من اعـظم واهـول المغـامرات .

الفصـل الثالث

الفرسـان الثلاثة

نشرت جريدة (كلاريون) فى صـباح اليوم التـالى نبـأ جـاء فيه :

« علم مندوب هذه الجريدة ان كلا من مستر ليسـتر هوم سميث وزير الدفاع وسير رولاند هيل مدير قسم الابحاث الكيميائية بوزارة الدفاع قد شـهدا فى سـاعة متأخرة من ليلة امس تجربة « السـحابة الكهربيـة » التى اخترعهـا الاسـتاذ فارجـان .

« وقد اجريت هذه التجربة فى جو من الكتمان . ولا ينتظر فى الوقت الحـاضر اذاعة شيء من التفاصيل . ويقـال أن مجلس الوزراء سيعقد اليوم جلسـة خاصـة لدراسـة تقرير وزير الدفـاع عن التجـربة .. واتخـاذ قرار بشأن هـذا الاختراع » .

* * *

قرأ القديس هذا النبأ . ولم يجد فيه جديدا . فراح ينتظر صحف المساء لعله يجد فيها اشارة الى الحادث الذى وقع له ، ولم يخب ظنه ، فقد قرأ فى جريدة (الايفننج ريكورد) تحت عنوان « محاولات الجواسيس الأجانب واختراع الاستاذ فارجان » كلمة جاء فيها :

« .. وتدل آثار الأقدام التى وجدت هذا الصباح على أن رجلين وامرأة كانوا يجولون حول منزل الأستاذ فارجان أثناء تجربة الاختراع . والظاهر أن احد الرجلين — وهو ضخم الجسم كبير القدمين — تعثر وسقط على الأرض أثناء فراره وقد دلت آثار أقدامه على أنه فر من طريق آخر غير الطريق الذى سلكته سيارة زميليه .

« وقد حاول سائق سيارة بمستر هوم سميث أن يعترض طريق الرجل والمرأة اللذين فرا فى السيارة . ولكن الرجل لكمه وتخلص منه .

« وقرر السائق المذكور انه كان نائما عندما اقبلت سيارة الجواسيس فلم يشعر بقدومها .

« وقد علم مندوبنا من مستر نيل مفتش البوليس الذى انيط به تحقيق هذا الحادث . انه لم يهتد للآن الى معرفة الأسباب التى حملت الجواسيس على الاسراع فى الهروب ، والمفهوم انهم استطاعوا رؤية (السحابة الكهربية) عند تجربتها » .

* * *

ولم يكد القديس يفرغ من قراءة هذا النبأ حتى دخل عليه صديقه نورمان كينت وبيده نسخة من (الايفننج ريكورد) .

فلجأ القديس بقوله :

— هل كنت تعيث فى الأرض فسادا ليلة أمس ؟ .. انك كنت معى فى (كوبهام) وقد مررت فى طريقك بمنزل الأستاذ فارجان وقت وقوع الحادث الذى اشارت اليه الصحف .. ومن المستحيل ان ..

قاطعه القديس :

— صبرا يا صاح حتى يحضر صديقنا روجر كونواى اننى اتصلت به تليفونيا بعد أن اتصلت بك . وسأسرد عليكما الحادث بالتفصيل .

وهنا دق جرس الباب الخارجى فقال القديس :

— هو ذا روجر قد أقبل .

وجاء روجر كونواى . وكان بدوره يحمل فى يده نسخة من جريدة (الايفننج ريكورد) .

هتف محدثا القديس :

— هل كنت تحوم فى الطريق بين (ايشر) و (لندن) ليلة أمس ؟ اننى أرى أثر أصبعك فى الحادث الذى اشارت اليه هذه الجريدة .

فأجاب القديس :

— اننى استقدمتك خصيصا لأسرد عليك التفاصيل . والآن .. اصغيا الى ..

وراح يقص عليهما القصة ببساطة وصراحة .. محدثيا كيف لفت الضوء الساطع بصره . وكيف شهد اختراع الاستاذ فارجان .

واصغى اليه الرجلان بانتباه . واخيرا قال روجر :

— حقا انه اختراع عجيب . ولكن ما هو بالتفصيل ؟

فأجاب القديس :

— انه الموت المتحرك .. وليس بوسعى ان أوضح حقيقته وعمله بأسلوب قريب الى الأفهام .. وكل ما استطيع

قوله وهو أن الأستاذ فارجان استطاع بالوسائل الكيمائية أن يصنع سحابة غازية .. يمكن شحنها بقوة كهربية هائلة .. تفعل فى الأجسام الحية ما تفعله الصواعق ..

— وماذا حدث عندما اتصلت هذه السحابة بجسم العنزة ؟

— حدث أن العنزة احترقت بأسرع من لمح البصر كما لو أنها مست شبكة من الأسلاك المشحونة بالكهرباء . احترقت العنزة كما تحترق قطعة اللحم فى جوف الأتون الملتهب . واستحالت فى الحال الى قبضة من الرماد .

فسأله نورمان كينت :

— ومن ذا الذى شهد هذه التجربة العجيبة عدا وزير الدفاع وسكرتيره . ومدير قسم الأبحاث الكيميائية بالوزارة ؟

— شهدها كذلك المخلوق العملاق الذى يتوهم المفتش قبل انه كان معنا .

— هل تعتقد أن هناك محاولة من جانب بعض الجواسيس للحصول على سر الاختراع .

فقاطعه القديس :

— ان ما نشرته الصحف عن اختراع الأستاذ فارجان حقيق بأن يلفت أنظار الجواسيس الأجانب .

وساد بين الأصدقاء الثلاثة صمت عميق قطعه روجر أخيرا بقوله :

— سوف تكون هذه السحابة الكهربية من أخطر الأسلحة فى الحرب القادمة .

فقال نورمان كينت :

— ان الحرب القادمة لن تقع قبل انقضاء بضع عشرات من السنين ..

فهز القديس كتفيه . وقدم الى (كينت) طائفة من الصحف كان قد قرأها جميعا فى ذلك الصباح .

طائفة من الصحف كان قد قرأها جميعا فى ذلك الصباح .

أشار فى هذه الصحف الى خطبة لمستشار ألمانيا والى بيان لأحد مندوبى فرنسا فى عصبة الأمم . والى حركات الأساطيل وارتفاع أسعار البترول والفولاذ والقبض على ثلاثة من الانجليز فى بعض أنحاء أوروبا بتهمة التجسس .

أشار الى جميع هذه الأنباء ثم قال :

— الا تشعرك هذه الأنباء بأن الدول لا تضمر خيرا . وبأن الحرب ممكنة الوقوع فى أية لحظة ؟ !

فقال كوتواى :

— ولكن جميع الدول تطالب بنزع السلاح بصفة عامة .

فأجاب القديس :

— ان كل ما يقال عن نزع السلاح هو خداع وتغرير بالبسطاء . فالشعوب لا تريد الحرب ولكن رجال السياسة لا يحيون الا على أطلال التفاهم . فهم يخلقون المشاكل الاجتماعية والسياسية ويهدمون العلاقات الطيبة بين الدول . ثم يعلنون الحرب فينساق الملايين من الرجال الى ساحة القتال دون أن يعلموا لماذا يقاتلون .

لقد حدث ذلك فى الماضى .. فلماذا لا يحدث فى المستقبل ؟ !

فقال نورمان كينت :

— لقد تعلمت الشعوب درسا مفيدا فى الحرب الكبرى .

— ان الشعوب لا تتعلم بمثل هذه السهولة .. لقد قرأ الناس طائفة من الكتب عن أهوال الحرب .. ولكن هذه

الكتب لن يكون لها وزن متى وقف احد الساسة خطيبا ولوح بالمجد الذى ينتظر الشباب فى ميدان البطولة .

وصمت لحظة ثم استطرد قائلا :

ـ والآن .. لنفرض اننا رأينا رجلا يعدو فى الشارع . والزبد يعلو شدقيه .. وفى يده سكين ملوثة بالدماء .

ان فى استطاعتنا ـ اذ كنا مغفلين ـ ان نقول لأنفسنا ان هذا الرجل يعدو مسرعا .. لأنه يريد اللحاق بالقطار او الترام .. وان الزبد يعلو شدقيه .. لأنه أكل قطعة من الصابون .. وان السكين الذى يقطر دما فى يده .. يدل على انه ذبح دجاجة فى التو والحال .

أما اذا كنا عقلاء .. فاننا نجد من الأسلم والأصوب أن نرى فى هذا الرجل مجرما سفاك دماء .

كذلك الحال فيما نراه على مسرح السياسة الدولية .. ففى استطاعتنا اذا كنا اغبياء ـ ان نغالط انفسنا . وان نرد كل ما نراه من الأعراض المزعجة الى رغبة الدول فى السلام .. فى حين يحتم علينا العقل والمنطق ان نرتاب فى هذه الأعراض جميعا .. وان نردها الى اصولها .. فنعترف بأن كل دولة تتأهب سرا او علانية لالتهام جارتها ..

فحك روجر كونواى رأسه وقال :

ـ اذن فأنت ترى من الواجب ان تمنع ذلك الجاسوس العملاق .. من ان يستولى على اختراع الاستاذ فارجان قبل ان تحزم الحكومة رأيها على امر فى صدد هذا الاختراع ؟

فحملق القديس فى وجه محدثه وقال :

ـ هناك عشرات من امثال هذا العملاق . وليس فى

وسعنا ان نقاومهم جميعا .. اضف الى ذلك ان مثل هذا السر لا يمكن كتمانه طويلا فاذا وقعت حرب ثالثة لا يبعد ان ترى اكثر من دولة واحدة تحارب بهذا الاختراع الذى تعتقد انجلترا انها الوحيدة التى تعرف سره .

وصمت لحظة ثم استطرد .

ـ بيد انى لا افكر فى هذا الاختراع .. او فى الدولة التى سوف تحتكره .. ولكنى افكر فى ملايين الرجال الذين سيشتركون فى الحرب الثالثة .. الرجال الذين سيذهبون الى ميدان القتال لكى يقاتلوا قتال الشرفاء .. فلا يلقون سوى سحائب بنفسجية تبيدهم كالحشرات قبل ان يتمكن احدهم من ان يضغط زناد بندقيته .

يجب ان نبيد هذا الاختراع .. وان نبيد العقل الذى اخترعه فان من الخير للانسانية ان تفتدى حياة الملايين من البشر بحياة شخص واحد .

فساد صمت عميق .. وتبادل الاصدقاء الثلاثة نظرة فيها معنى الفهم والتفاهم . واخيرا قال نورمان :

ـ وما رأيك فى ذلك الجاسوس العملاق الذى حدثك بسببه . الم تتبين وجهه ؟ الم تعرفه ؟

فأجاب القديس فى هدوء :

ـ بل عرفته .. لقد نشرت الصحف صورته مرارا .. انه الدكتور رايت ماريوس الملقب بالمليونير الغامض ، وهو رجل ينثر الفتن بين الشعوب ، ويشعل نيران الثورات ، ويتجر فى الاسلحة ويبيع اسرار الدول ، ويصطاد فى الماء العكر .

الفصل الرابع

الجاسوس

لاحظ سيمون تمبلار في اليوم التالي أن الصحف لم تنشر ما تم في حادث الجاسوسية أو الى القرار الذى اتخذه مجلس الوزراء في صدد اختراع الاستاذ فارجان . فأدرك أن هذا الصمت مقصود وأن الدوائر ذات الشأن أصدرت تعليماتها الى الصحف بعدم الخوض في هذا الموضوع وحوالى الظهر انطلق القديس وروجر كونواى الى ضاحية (ايشر) وهناك ترك القديس صديقه في السيارة وقام بجولة حول منزل الاستاذ فارجان وعاد وهو يقول :

ــ لقد أصبح منزل فارجان تكنة لرجال البوليس السرى .. فهناك ثلاثة من الرجال يحرسون الباب .. ورابع يتظاهر بانه البستاني .. وخامس يتسلى بقراءة الصحف في الحديقة .. وأكبر ظني أن المفتش تيل العزيز كامن الآن في المطبخ . أو في الحمام ..

وما كاد الصديقان يبتعدان بسيارتهما .. حتى مرت بهما سيارة صفراء فخمة .. ولاحظ كونواى أن هذه السيارة قد أخذت تبطيء في سيرها .. فالتفت الى الوراء . ووقع بصره في داخل السيارة على وجه ذكره في الحال بوجه (الغوريللا) .

سأله القديس وهو يبتسم :

ــ هل رأيت هذا الوجه الجميل ؟ !

ــ يا لله .. ما أبشعه .

ــ انه وجه صديقنا العزيز الدكتور رايت ماريوس ..

وقد رآنى وعرفنى . واستطاع أن يتبين رقم سيارتنا . وأؤكد لك انه لن تنقضى ساعة واحدة حتى يكون قد عرف عنوانى .

ثم ابتسم واردف :

ــ ان حياتنا في الأيام القلائل المقبلة ستكون حافلة بالحوادث والمفاجآت .

❊ ❊ ❊

وفي منتصف الليلة التالية .. كان تمبلار وكونواى يسيران في طريقهما الى منزل الأول في شارع (بروك) فوقف القديس فجأة في بداية الشارع .. ورفع عينيه الى السماء كأنه يفكر .. ثم قال بصوت خافت ..

ــ تحدث الى بحدة . وقطب حاجبيك ولوح بيدك ذات اليمين وذات اليسار .. ولكن حذار أن ترفع صوتك .

فلم يفهم روجر غرضه ولكنه أطاع بغير تردد وجعل يتحدث بحدة عن مساوىء السيارات (الانجليزية) .. وأجابه القديس وهو يشير بيديه اشارات لا تتفق مع موضوع الحديث . ولكنها تشعر الناظر بأن الصديقين يتشاحنان :

ــ هناك مخلوق قذر يتعقبني منذ أربع ساعات .. وهو الآن يسير خلفنا على بعد عشرة أمتار منا .. بودى أن أعتقله .. ولكنى أخشى أن يلوذ بالفرار اذا نحن هاجمناه .. وأنا واثق انه يقترب منا الآن للاصغاء الينا والوقوف على موضوع المناقشة .. والرأى عندى أننا اذا تشاجرنا وتلاكمنا . شجعه ذلك على الدنو منا .. وعندئذ نستطيع أن نطبق عليه .. بينما أفتح باب المنزل .

فصاح روجر :

— قلت لك ان عجلة القيادة فى سيارات موريس ....

وأصبحا وقتئذ امام المنزل فلم يمهل القديس صاحبه حتى يتم عبارته بل تحول اليه .. ولكمه فى صدره لكمة دفعته الى الوراء .

وقابل روجر اللكمة بمثلها .

وهكذا بدأت بين الصديقين ملاكمة مفتعلة كان يخيل للناظر انها حقيقية لا ريب فيها .

وصح ما توقعه القديس فقد اخذ الجاسوس يقترب منهما ..

قال القديس وهو يلكم صاحبه :

انه الآن وراءك . فتراجع خطوات .

وتلقى روجر اللكمة فى صدره . وتراجع اربع خطوات كما امره القديس .

ولم ينتظر القديس حتى يرى صديقه وهو يطبق على الجاسوس .

كان واثقا من أن روجر قد فهم غرضه . وانه سينفذ الخطة بنجاح فأسرع الى الباب وفتحه . وما هى الا لحظة .. حتى كان روجر يدخل المنزل والجاسوس على كتفه .

واغلق القديس الباب وهو يقول :

— لقد نجحت الخطة .. والآن .. اصعد السلم .. ولا ترفع يدك عن فمه .

وعندما وصلا الى الطابق الاول . اطل القديس من احدى النوافذ .. ثم قال :

— لم يرنا احد .. فالشارع خلو من المارة .

فهتف الجاسوس وهو يرغى ويزبد :

— الويل لكما .. متى قابلت اول شرطى فانني .

فهز القديس كتفيه بقلة اكتراث وقال :

— فتش جيوبه يا روجر . ففتشه روجر ولم يجد فى جيوبه غير ورقة ذات خمسة جنيهات قال القديس .

— هذا من سوء حظه .. وما دمنا لم نجد فى جيبه شيئا يفيدنا فاننا سنضطر الى تعذيبه حتى يفضى الينا بما عنده .

وقصد الى النافذة .. فاغلقها ثم عاد الى الجاسوس وقال له بصوت هادىء :

— والآن . هل فى نيتك ان تتكلم طواعية واختيارا ؟

فصاح الجاسوس مغضبا :

— ماذا تريد منى ايها الوحش . ؟

— اريد أن اسمع منك كلاما مفهوما بصوت هادىء عذب كصوت البلابل .

انك كنت تتعقبنى منذ اربع ساعات . وانا اكره أن يمشى احد الناس فى أثرى ويتعقب حركاتى وسكناتى .

فهتف الرجل بلهجة الاستنكار :

كنت اتعقبك ؟ انا تعقبتك ؟

فتنهد القديس .. وأمسك كتفى الرجل بكلتا يديه وهزه بعنف كما يهز زكيبة ملأى بالحنطة وقال بلهجة الامر :

— تكلم .

ففتح الرجل فمه .. وهم بان يسب ويشتم .. ولكن القديس عاجله بلكمة اسكتته .

صاح به :

— تكلم .. من الذى امرك بأن تتعقبنى ؟

ورأى الرجل فى عينى محدثه نظرة تهديد أبلغ من الكلمات واللكمات .. فتكلم .. وسرد قصته .. ولكنها كانت للاسف قصة تافهة .

قال :

— انا لا اعرف اسمه .. ولكنى قابلته منذ ستة شهور فى شارع (لكسفورد) فعرض على عملا . ومنذ ذلك الوقت وانا اقوم بخدمته واتعقب الناس الذين يأمرنى بأن اتعقبهم .

— وكيف تتصل به .. وتتلقى اوامره وتعليماته اذا كنت لا تعرف اسمه ؟!

— انه يكتب الى كلما ارادنى فاقابله فى أحد الشوارع ... واذا اردت الاتصال به .. تحدثت اليه تليفونيا .

— وما رقم تليفونه ؟

— ٩٩٩٩ وستمنستر .

— شكرا لك .. انه رجل حسن البزة . جميل الطلعة اليس كذلك ؟

— عندما قابلته لاول مرة . خيل الى اننى ارى امامى (غوريلا) هرب من حديقة الحيوان .

— هذا حسن .. اذهب الان فلم تعد لى بك حاجة .. ارشده الى الباب يا روجر .

فقال الرجل متسكعا :

— ان لى زوجة .

— من سوء حظها انك زوجها .

— ولكنك اعتديت على حريتى . فاذا لم تعوضنى عن هذا .

فقاطعه القديس :

— اذا لم تسرع بالانصراف القيت بك الى الشارع . واذا كنت بحاجة الى تعويض عما اصابك .. فاطلب هذا التعويض من صاحبك الجميل . قل له اننا عذبناك بالحديد المحمى ولكننا لم نستطع ارغامك على الكلام . قل له هذا الكلام لعله يصدقك . ولكنى واثق انه لن يصدقك .

وانصرف الجاسوس وهو يرمق القديس وصاحبه بنظرة تنم عن الغيظ والحنق .

وتريث القديس لحظة .. ثم نهض الى جهاز التليفون ..

— الو .. الو .. ٩٩٩٩ وستمنستر .. الو . اهذا انت يا عزيزى ماريوس الجميل ! تسالنى من انا ! ؟ انا القديس .. واعتقد انك سمعت عنى .. ورايتنى . لقد قابلتنا امس الاول فى الطريق بين (ايشر) و (لندن) نعم .. هذه فرصة سعيدة بغير شك .. يا لله .. لو كان وجهك جميلا كصوتك يا عزيزى ماريوس . اذن لافتتنت بك صفوة نساء لندن .. صبرا لا تغضب بمثل هذه السرعة يا عزيزى ماريوس .. ان عندى نبأ يهمك .. لقد وقع احد جواسيسك بين يدى .. فعاملته بما يليق بمقامه الكريم .. وهو الان فى طريقه الى بيته .. ولكن اذا وقع جاسوس آخر من جواسيسك فى قبضة يدي فانه سينتقل الى بيته محمولا على الاعناق .. والان الى اللقاء ايها العزيز .. اتمنى لك احلاما سعيدة .

قال ذلك ووضع السماعة دون ان ينتظر جوابا .

ثم اتصل بادارة التليفونات .. وسال :

— هل استطيع الوقوف على اسم صاحب التليفون رقم ٩٩٩٩ وستمنستر ؟ ! لماذا ؟ ! التعليمات لا تسمح باعطاء اى بيانات عن المشتركين ؟ ! الا توجد اية طريقة .. شكرا لك ..

ووضع السماعة ..

قال له روجر :

— تستطيع ان تبحث فى (دليل لندن) عن عنوان صاحب التليفون رقم ٩٩٩٩ وستمنستر .

— هذا راى سقيم يا صاحبى .. فان الدكتور ماريوس لا يقيم فى لندن بصفة دائمة .. فمن العبث اذن ان تبحث عن عنوانه فى (دليل لندن) . والتليفون رقم ٩٩٩٩ وستمنستر

لابد ان يكون تليفون أحد أصدقائه .
ـ هذا صحيح .. والآن لم يبق علينا الا ان ننتظر ...
ونفكر في الخطوة التالية التي يخطوها الدكتور ماريوس .
ـ وهذا رأى سقيم أيضا .. لاننا نعرف الخطوة التالية التي سيخطوها الدكتور ماريوس .. وهي عبارة عن قطرة من حامض (البروسيك) توضع في قدح الشاي الذي سأتناوله غدا .. او رصاصة تطلق على حالما ابرح منزلي في الصباح .
ولكن عجب اننا لم ننتظر .. ولم نخلد الى السكون ؟
واشعل لفافة تبغ وقال بلهجة المفكر :
ـ نعم . لماذا ننتظر ؟
ونهض الى جهاز التليفون .. واتصل بصديقه نورمان كينت وقال له :
ـ اسرع الى سيارتك .. وضع مسدسك في جيبك .. فاننا سنذهب للصيد والتنصت .
ثم اتصل تليفونيا بخادمه في المنزل الصيفي الذي استأجره على شاطيء (ميدنهيد) وهتف :
ـ آلو .. آلو .. اهذا انت يا هوراس ؟ ان صديقي نورمان كينت سيذهب اليك في الصباح الباكر وبرفقته زائر عزيز لدينا .. فابحث في القبو عن غرفة خالية من النوافذ . وضع بها فراشا للضيف العزيز هل فهمتني ؟

* * *

وكان كونواي يصغي بانتباه الى احاديث تمبلار التليفونية فخيل اليه انه فهم غرض صاحبه .
قال له :

ـ هل في نيتك ان تبدأ العمل الليلة ؟
ـ نعم .. لاننا اذا ابطأنا اكثر من ذلك حدث احد امرين .. اما ان يبيع فارجان سر اختراعه للحكومة .. واما ان ينتزع منه ماريوس هذا السر .. واذا حدث هذا او ذاك .. ضاعت علينا الفرصة الى الابد ..
المهم هو ان نصل الى فارجان قبل ان يبوح بسر اختراعه لكائن من كان .
وهنا حانت من روجر التفاتة الى صورة لباتريشيا هولم مثبتة بالجدار فسأل :
ـ اين هي ؟
فأجابه القديس :
ـ انها ذهبت لقضاء بضعة ايام في ضيافة اسرة (مالارينج) في ديفونشير .. وستعود غدا مساء .. على ان غيابها يفسح لنا سبيل العمل بحرية وجرأة .
وفي نيتي ان اختطف الاستاذ فرجان الليلة .. وان اذهب به الى منزلي الصيفي في (ميدنهيد) . وهناك نقضي ليلتنا .. ثم نعود في الصباح لاستقبال باتريشيا هولم .. واصطحابها الى (ميدنهيد) .. فما رأيك في ذلك ؟
ففكر روجر لحظة .. ثم قال :
ـ وهل في نيتك ان تتخلص من الاستاذ فارجان بقتله ؟
فأجاب القديس في هدوء :
ـ كلا .. انني اتجنب دائما سفك الدماء . وقد فكرت في الأمر مليا . وخطر لي ان اتحدث الى فارجان .. وان أهيب بعواطفه الانسانية أن يبيد هذا الاختراع الجهنمي .
ـ واذا رفض الاقتناع ؟
فقطب القديس حاجبيه ولم يجب .
وقد اعاد روجر هذا السؤال عندما جاء نورمان كينت

بعد عشر دقائق .. وفاتحه القديس بخطته .. فأجاب نورمان :
ـ اذا رفض الاقتناع وتنكر لابسط المبادىء الانسانية صار من الواجب ابادته وابادة إختراعه .

الفصل الخامس

الاختطاف

قال القديس لصديقه :
ـ لكي يتغلب الانسان على خصمه .. ينبغي عليه ان يتخيل الخطة التي يلجأ اليها لو انه كان في مثل مركزه ..
فالمسألة الان .. ماذا كنت افعل لحراسة فارجان . لو انني في مركز المفتش تيل ؟ !

* * *

كان الاصدقاء الثلاثة وقفوا في طريق (بورتسموث) على بعد ميل من ضاحية (ايشر) .
ولم تكن قد حانت لهم فرصة للكلام والتفاهم اثناء الطريق، ذلك لأن القديس اصر على القيام بالرحلة الى (ايشر) في سيارتين احداهما سيارته والاخرى سيارة نورمان كينت .. حتى لا تنقطع بهم الاسباب اذا حدث وتعطلت احدى السيارتين .
قال روجر كونواي :
ـ اننا راينا امس خمسة من رجال البوليس السري يحرسون منزل فارجان .. وقد وزعهم تيل امام المنزل وفي

الحديقة . وامام القاعة التي اجريت فيها التجربة . ولا ريب ان ذلك هو افضل توزيع للحراس حتى ولو تضاعف عددهم .
فقال القديس وهو يرسل من فمه سحابة من الدخان :
ـ ذلك ما اعتقده .. وقد وضعت خطتي على هذا الاساس .
ثم بسط خطته لصديقيه .
كانت خطة بسيطة تقوم على سرعة العمل .. واخذ الاعداء على غرة .. وهي خطة طالما جربها القديس بنجاح عظيم .

* * *

وبعد بضع دقائق .. وثب القديس وروجر في احدى السيارتين . وتبعهما نورمان كينت في السيارة الثانية .
كان قد تقرر فيما بينهم ان يقوم القديس وروجر باقتحام المنزل واختطاف الاستاذ فارجان .. بينما يبقى نورمان في انتظارهما بالسيارة خارج المنزل .
فلما دخلت السيارتان الى الطريق الضيق الذي يقع منزل فارجان في نهايته ادار نورمان مقدمة سيارته بحيث يتسنى له الانطلاق بها في الطريق الى لندن عند اول اشارة .
اما القديس وروجر فانهما وثبا من السيارة . ولكن لم تكد تستقر اقدامهما على الارض حتى سمعا صوت طلق ناري .
فهتف القديس :
ـ يا الهي ...
فسأله روجر :
ـ هل تظن ان ماريوس ...
فقاطعه القديس :
ـ انا واثق انه سبقنا .

وظل جامدا فى مكانه لا يتحرك .. وخيل لروجر ان دهرا قد انقضى على القديس فى ذلك الموقف .

والواقع . ان القديس كان يفكر .. ويفكر بسرعة .

انه جاء وفى نيته مقاومة رجال البوليس الذين يحرسون فارجان .. اما الان فيتعين عليه ان يقاوم رجال البوليس ورجال ماريوس على السواء .

هتف فجأة :

— ان الحظ يحالفنا .

— ماذا تعنى ؟

— اعنى اننا جئنا فى الوقت المناسب .. فقد تلاحم الفريقان .. ووفر علينا ماريوس ورجاله مؤونة الاصطدام برجال البوليس .

وفى هذه اللحظة .. دوى طلق نارى اخر .. اعقبه ثالث . فرابع هتف القديس :

— ان كلا من الطرفين يفتك بالاخر . وسوف يسهل علينا التغلب على الفائز .

ووثب نحو باب المنزل .. وتبعه روجر .

لم يجدا اى اثر لرجال البوليس الذين كانوا يحرسون الباب الخارجى .

بيد انهما ما كادا يقتربان من الباب .. حتى برز لهما من الظلام رجل ثقيل الحركة . اخذ يعدو فى الطريق وهو يلهث .

توارى القديس خلف احدى الاشجار .. وتريث حتى اقترب منه الرجل .. ثم مد قدمه فى طريقه فتعثر الرجل وسقط على الارض .

ووثب عليه القديس ودق رأسه بالارض حتى فقد الرجل رشده ...

قال القديس محدثا صديقه :

— انه من رجال البوليس .. ولكن ما الحيلة ؟ يجب ان نتخلص منهم جميعا ..

وفى هذه اللحظة .. دوت الطلقات النارية من جديد .. فهتف روجر :

— ماذا يجب ان نفعل الان ؟

فأجاب القديس وهو يخرج مسدسه :

— دعنا نشترك فى المعركة .

واطلق رصاصتين فى الهواء .. فجاء الرد فى الحال ... اذا انبعث من ظلام الحديقة ضوء سريع .. ومرت رصاصتان فوق رأس روجر .



وقبل ان يحزم القديس رأيه على امر .. تبدد الظلام فجأة .. وسبح الطريق الضيق فى سيل من الاشعة انبعث بغتة من مصباحى سيارة بباب المنزل .

ووقف القديس وصديقه مذهولين وسط تلك الاشعة التى بهرت عيونهما .. ولم ينتبها من ذهولهما الا عندما شعرا باقتراب السيارة .. عندئذ القى القديس بنفسه فوق سياج العوسج .. واجتذب روجر معه فى الوقت المناسب فانقذه بهذه الحركة السريعة من رصاصة سددها اليه شخص فى السيارة .

ومرت بهما السيارة بسرعة ..

وفى هذه اللحظة بالذات .. حانت من القديس التفاتة نحو باب البيت فرأى شبحا شخصا يعدو فى اثر السيارة . ثم اطلق الشبح رصاصة اصابت النافذة الخلفية للسيارة فحطمت زجاجها ...

هتف روجر :

— انهم يهربون يا سيمون .. الا تطلق عليهم الرصاص ؟

فصوب القديس المسدس نحو السيارة الهاربة .. ولكن لم يطلق الرصـــاص ...

قال وهو يضغط على ساعد صديقه :

— انهم لن يتمكنوا من الفرار .. فان سيارتى تسد منفذ الطريق ..

فاتبع روجر السيارة البصر .. حتى رآها تصطدم بسيارة القديس ورأى مصابيحها يتهشمان وينطفئان .

وكان الشبح الضخم الذي أطلق الرصاص على الســيارة الهاربة قد أخذ يعدو فى اثرها بسرعة .. فلما مر بالبقعة التى كمن فيها القديس رآه هذا الاخير .. وعرف فيه المفتش تيل .. فوثب فى اثره كالنمر ..

وشعر به تيل .. ولكن بعد فوات الوقت . فقد هجم عليه القديس ولكمه بكل قوته لكمة القته على الأرض فاقد الرشد .

* * *

كان القديس يحترم رجال البوليس بصفة عامة .. ويحترم المفتش تيل بصفة خاصة .. ولكن ظروفه فى تلك الليلة لم تكن تسمح له بالتعبير عن هذا الاحترام .

اضف الى ذلك ان المفتش تيل كان يحمل فى يده مسدسا .. وان الظروف كانت حقيقة بان تغريه باطلاق المسدس اولا .. ثم بالقاء الاسئلة فيما بعد ..

وعلاوة على هذا .. فان القديس كان قد وضــع خطته لانقاذ الاستاذ فارجان .. واسقط من حســابه فكرة التعاون أو التصادم مع رجال البوليس ..

لكل هذه الاسباب لم يجد القـديس بدا من التخلص من المفتش تيل بذلك الاسلوب الخشن .

* * *

وانطلق تمبلار فى اثر صديقه روجر .

ولكنه لم يكد يتقدم بضع خطوات حتى سمع وراءه صيحة اعقبها دوى طلق نارى .. وشعر بالرصاصة تمر بالقرب من وجهه ..

ادرك من هذه الرصاصة أن تيل لم ينج وحده من غارة اعوان ماريوس .. وان رجلا آخر على الاقل من رجال البوليس قد استطاع النجاة .. ولكنه وجد ان الوقت لا يسمح بالاشتراك فى معركة جديدة مع رجال البوليس ...

فمضى فى سبيله .. وهو يتمايل ذات اليمين وذات اليسار كيلا تصيبه رصاصة اخرى من مسدس رجل البوليس .

وكان من المتعذر على رجل البوليس أن يصيب الهدف فى ذلك الظلام الدامس .. ولعله شعر بذلك فى الوقت المناسب لانه كف عن اطلاق الرصاص .

وكانت سيارة ماريوس واعوانه قد لزمت مكانها بعد ان اصطدمت بسيارة القديس ، فاقترب روجر من بابها .. وهم بان يفتحه .. وعندئذ خرجت من جوفها رصاصة مرت بالقرب من اذنه .

لم يحدث انطلاق هذه الرصاص دويا على الاطلاق .

فادرك روجر انها انطلقت من مسدس صامت .

وكان من المحتمل ان تنطلق رصاصة اخرى تقضى على حياة روجر . لولا ان اسرع القديس وفتح باب السيارة من الجانب الاخر .. وامسك بالمسدس الصامت فى ذات اللحظة

التى انطلقت فيها الرصاصة الثانية .
فأصابت الرصاصة سقف السيارة .
هتف القديس وهو يضغط على أصابع الشقى الذى أطلق الرصاصتين :
ـ والآن . اطلق المسدس للمرة الثالثة .
وحول المسدس الصامت فى يد الرجل حيث أصبحت فوهته مسددة الى صدر الشقى .

* * *

ووقع بصر القديس على الأستاذ فارجان وهو قابع فى ركن السيارة بجانب ذلك الشقى .. وحانت منه التفاتة الى مكان سائق السيارة . فوجد ذلك المكان خلوا .
تساءل القديس .. ترى من كان السائق .. وأين ذهب .. وهل هو ماريوس نفسه ؟
على أن الموقف لم يكن يسمح باطالة التفكير والاستنتاج .

* * *

ومد روجر يديه .. وانتزع فارجان من مكانه انتزاعا .. وفعل القديس بصاحب المسدس مثل ذلك .. فأخرجه من السيارة . وانتزع المسدس من قبضته . ولكمه لكمة ألقته على الأرض فاقد الرشد .
ولكنه لم يكد يفرغ من هذه المهمة حتى أحس بفوهة مسدس تلتصق بجبينه .. وسمع صوتا يقول بلهجة الأمر :
ـ ناولنى هذا المسدس .
فأطاع القديس وقدم المسدس الصامت .

لم يكن بحاجة الى اطالة التفكير لكى يعلم أن هذا الغريم الجديد الذى يهدده بمسدسه .. هو بعينه رجل البوليس الذى أطلق عليه الرصاص فى الظلام وأخطأه .
ولو كان هذا الغريم هو أحد رجال ماريوس اذن لما ابطأ فى قتله .. بدلا من أن يضيع الوقت بمطالبته بتسليم مسدسه .
هز القديس كتفيه وقال ببساطة :
ـ ان الجو بديع هذه الليلة .. أليس كذلك ؟ !
فلم يجبه رجل البوليس .. بل تنهد بارتياح وقال :
ـ بحسبنا أننا اعتقلنا أحدكم أيها الأوغاد ..
فقال القديس فى أدب .. كما لو كان يحدث أحد الضيوف فى حفلة ساهرة :
ـ من دواعى سرورى أننى تشرفت بمعرفتك يا سيدى ..
على أن أدبه لم يمنعه من أن ينظر من ركن عينه الى صديقه روجر وأن يصيح به :
ـ أسرع أنت يا روجر .. اهرب بفارجان ما دامت الفرصة سانحة للهرب .. سنتقابل فيما بعد .
فصاح به رجل البوليس :
ـ مه يا هذا .. والا الهبت رأسك ..
فصمت القديس ولكنه استمر يرقب صديقه روجر . فرآه يحمل الأستاذ فارجان على كتفه كأنه زكيبة ملأى بالبطاطس . ثم رآه يلقى به فى سيارة نورمان كينت ..
ووقف روجر مترددا لحظة . فصاح القديس فى ضجر دون أن يعبأ بالمسدس المصوب اليه :
ـ أسرع أيها الغبى ..
فأطاع روجر .. ووثب الى السيارة .. وتنهد القديس بارتياح ..
أما رجل البوليس .. فانه وجد نفسه فى مركز دقيق .

حــائر فى امره .. فهو لا يريد ان يفلت منه السـجين .. ولا يريد فى ذات الوقت ان يسمح باختطاف فارجان .

راى فارجان يحمل تحت سمعه وبصره .. وشعر بان من واجبه ان يحول دون اختطاف هذا الرجل الذى وضع تحت حراسته وحراسة زملائه .

ومن حسن حظ القديس .. ان الرجل لم يكن على شىء من الذكاء وسرعة الخــاطر .. ولولا ذلك ما تردد فى اطلاق الرصاص على سجينه .. ثم الاسراع لانقاذ فارجان .

وقف مترددا . ولعله كان يبحث عن حل آخر لا يضطره الى سفك الدماء .

التفت على الرغم منه الى حيث كان روجر وفارجان ... وانصرفت عيناه عن القديس — لحظة قصيرة — ولكن هذه اللحظة على قصرها كانت كل ما يطمع فيه القديس .. فبسط ساعده الطويل بسرعة البرق .. واصطدمت قبضته بفك رجل البوليس ووثب نحو السيارة فوصل اليها قبل ان يصل رجل البوليس الى الارض .

واطلق نورمان كينت العنان للسيارة .. فراحت تسـابق الريـــح ..

ونظر القديس الى الاستاذ فارجان . كان مشدود الوثاق مكموم الفم — وتنفس الصعداء .

سأله نورمان بصوت ينم عن الارتياح :

— ماذا حدث بالتفصـيل ؟

فقص عليه القديس ما حدث وختم كلامه بقوله :

— لو اننا دبرنا خطة الاختطاف دون تدخل ماريوس ورجاله .. لما اصبنا فى تنفيذها مثل هذا النجاح .

والواقع ان هذا الشقى عرف كيف ينفذ تدابيره بجسارة وجراة . ففعل ما تفعله عصابات نيويورك وشيكاغو دون ان

يعبأ بالفضائح . وذلك يدل على قوة عزيمته . وتطلع اصراره على الحصول على سر الاختراع مهما كلفه ذلك .

— كم كان عــدد رجاله ؟

— لا اعلم .. لانى لم ار غير الرجل الذى كان جالسا مع فارجان فى السيارة . ومن المحتمل ان يكون ماريوس قد نجا من السيارة فى الوقت المناسب عندما وقع بصره علينا .

قال ذلك . واعتدل فى جلسته . واشعل لفافة تبغ ، وراح يـفكر ..

ولم يظهر على وجهه شىء من دلائل الارتياح الى نتيجة تفكـيره ..

قال فجأة :

— يخيل الى انه يجب بعد هذه المغامرة ان اودع انجلترا .

فدهش روجر وسـأله :

— ماذا تعنى ؟ هل فى نيتك الرحيل ؟

فضحك القديس وقال :

— ليس لى ان اختـار . فقد تركت الآن ورائى دليلا سوف يطلق جميع رجال البوليس فى اثرى .

نعم . اننى تركت سيارتى التى حطمتها سيارة ماريوس . وليس ايسر على المفتش تيل من ان يعرف اننى صاحب هذه السيارة . وان يوجه الى تهمة اختطاف الاستاذ فارجان .. والاشتغال بالجاسوسية . هذا فضلا عن ان جميع الاضرار التى الحقها ماريوس واعوانه برجال البوليس سوف تسند لى .

والواقع .. ان رجال ماريوس وحدهم هم الذين يستطيعون اثبات براءتنا من جريمة الاغارة على بيت الاستاذ فارجان والاعتداء على رجال البوليس .. ومن غير المنتظر طبعا ان يؤدى ماريوس واعوانه الشهادة فى مصلحتنا .

كلا يا عزيزى روجر .. اعتقد ان عهد السلام بينى وبين

رجال البوليس قد انتهى .. وغدا توضع صورتى بباب كل مركز للبوليس فى انجلترا .

تفكر روجر لحظة ثم سأل :

ـ هل هناك خطر من الذهاب الى منزلك الصيفى فى (ميدنهيد) ؟

ـ هذا المنزل هو الملجأ الوحيد الذى نستطيع أن نفزع اليه فى الوقت الحاضر .. لاننى ابتعته باسم الآنسة باتريشيا ويندرمير وهو اسم مستعار لباتريشيا هولم .

وكنت قد عملت ذلك استعدادا لمثل هذه التطورات .

ـ ومنزلك الكائن بشارع (بروك) ؟

فابتسم القديس وأجاب :

ـ اننى ابتعت هذا المنزل باسمك أنت يا عزيزى روجر .. ومعذرة اذا كنت قد قلدت امضاءك فى وثيقة البيع .

بيد أن الاقامة بهذا المنزل لم تعد مأمونة .. اذ يكفى أن يتصل المفتش تيل بالشركة التى باعتنى السيارة لكى يعرف عنوانى .. ولكن حدثنى .. اى يوم هذا ؟

ـ نحن الان فى صبيحة يوم الأحد .

فاعتدل القديس فى مكانه وقال :

ـ هذا حسن .. لقد نجونا مؤقتا .. لان تيل لا يستطيع الاتصال بشركة السيارات والفراغ من تحرياته قبل يوم الاثنين .. فلدينا اذن مهلة ليلة .. وهى مهلة كافية لتدبير شئوننا ...

وحوالى الساعة الرابعة صباحا .. وقفت السيارة امام بيت سيمون تمبلار الصيفى فى (ميدنهيد) .. فتعاون الفرسان الثلاثة على نقل الاستاذ فارجان الى غرفته فى قبو المنزل ..

الفصل السادس

الاختفاء الغامض

فرغ الأصدقاء الثلاثة من تناول طعام الافطار .. واشعل القديس لفافة تبغ .. ثم نظر الى ساعته وقال :

ـ اظن ان الوقت قد حان لرحيلى ..

فسأله كونواى :

ـ الا ترى من الأفضل ان ارافقك ؟

ـ اظن ذلك .. فانه يتعين علينا ان ننقذ ما يمكن انقاذه من محتويات شارع بروك قبل ان يحتله البوليس غدا . ولذلك سأحتاج الى مساعدتك فى حزم بعض الأمتعة والأشياء الخاصة التى لا اريد وقوعها فى أيدى رجال البوليس .. ومن ثم نذهب سويا الى المحطة لاستقبال باتريشيا هولم ومرافقتها الى هنا .

ـ وبأى قطار ستعود الآنسة باتريشيا الى لندن ؟

ـ هذا ما لا علم لى به .. ولكن صبرا ..

ونهض الى جهاز التليفون .. واتصل بباتريشيا هولم فى ديفونشير :

ـ آلو .. أهذه أنت يا باتريشيا ؟! كيف قضيت هذين اليومين اللذين لم يغمض لى جفن خلالهما ؟! آه .. اننى احسدك .. كلا .. أيتها العزيزة .. ان للتليفونات آذانا .. سأحدثك بكل شىء عندما نتقابل . بأى قطار ستعودين ؟ قطار الساعة الرابعة والنصف .. الذى يصل الى لندن فى الساعة التاسعة ؟! انه آخر قطار يصل الليلة الى لندن فيما أعتقد .. حسنا .. ستجديننى بانتظارك فى المحطة .. كلا . كلا . ان منزل شارع بروك لم يعد له وجود .. ستجديننى

فى انتظارك لكى اذهب بك الى مكان آخر .. حذار أن ت
من القطار ، الى اللقـاء .
ووضـع السماعة .. وقال محدثا روجر كونواى :
ــ والآن .. هلم بنـا ..

❋ ❋ ❋

ووصلت السيارة الى منزل شـارع بروك فى منتصـفه الساعة الخامسة وهبط منها القديس وصديقه .. وشرعا فى الحال فى اعداد الحقائب وحزم الأمتعة . واستغرقت هـذه العملية ثلاث ساعات .
وحمل القديس احدى الحقائب الى السيارة .. ثم عـاد وهو يقـول :
ــ يجب أن نسرع قبـل أن يشرفنا بعضـهم بالزيارة يا روجر ..
ــ يشرفنا بعضهم بالزيارة ؟؟ ماذا تعنى ؟؟
ــ أعنى أن فى الشـارع رجلين انيقين يغازلان نوافذ هذا البيت .. انهما لم يكونا هناك عندما جئنا .
فتصعد روجر الى النافذة واطل منها .. ثم قال :
ــ ولكنى لا ارى أحـدا .
ــ أحقا تقول ؟ انى فقد انطلق الشقيان للتبليغ عنا ... واكبر ظنى انهما من اعوان ماريوس .. وليسا من رجـال البوليس .. لأن صـديقنا (تيـل) رجل بطيء الحـركة كالسلحفاة .. ويستحيل أن يكون قد اهتـدى الينا بمثـل هذه السرعة .
ومهما يكن من أمر فيجب أن نرحل بأسرع ما يمكن .. انه ماريوس يعرف أن هذا منزلى .. وهو قادر بما يملك من قوة

ودهاء على أن يجعل هذا المنزل قطعة من جهنم .
ــ وباتريشـيا ؟
فنظر القديس فى ساعته ثم قال :
ــ لا تزال أمامنـا ساعتان قبل موعد وصـول القطار .
والرأى عندى أن ننطلق بالسيارة الى (ميدنهيد) .. فنترك الأمتعة والحقائب هناك ثم نعود فى الوقت المناسب لاستقبال باتريشيا فى محطة (بادنجتون) .
ــ ولكن .. هب أن السيارة أصابها عطب فى الطريق .
ــ ذلك ممكن الحدوث حقا .. اذن فلتعدل خطتنا هكذا ..
سأنطلق بك الآن الى محطة بادنجتون . واتركك هنـاك فى انتظار باتريشيا .. ثم اسرع بالحقائب الى (ميدنهيد) ...
واعود فالحق بكما فى المحطة ..
نعم .. يحسن أن نلقى عن كواهلنا عبء هذه الحقائب ..
ثم أن هذه هى أفضل فرصة للتخلص من الجاسوسين ..
وتضليلهما .. بحيث يتعذر عليهما الوقوع على اثرنا .

❋ ❋ ❋

وترك القديس صـديقه فى محطة بادنجتـون . ونقـل الأمتعـة والحقـائب الى (ميدنهيـد) وعـاد أدراجه الى لنـدن .
ولكن حدث فى الطريق ما توقعـه (روجـر) . اذ انفجر اطار احدى العجـلات .. فقضى القديس ربع سـاعة فى استبدالـه .. وكانت النتيجـة انه وصـل الى محطـة بادنجتون بعد الموعـد المقرر لوصـول القطـار .
وجد روجر فى انتظاره .
سـأله فى شىء من الحيرة :

— ماذا حدث ؟ هل تأخر القطار عن موعده ؟

فأجابه روجر :

— بل قد وصل فى الموعد .. وفتشت جميع المركبات ولكنى لم أجد أثرا لباتريشيا .

فقطب القديس حاجبيه .. وظهرت على وجهه علامات التفكير العميق .

سأل بصوت ينم عن القلق :

— هل أنت واثق انك بحثت عنها فى جميع المركبات ؟

— لا شك فى ذلك .. ولكن يحتمل على كل حال أن تكون قد انصرفت من المحطة دون أن أراها . كذلك يحتمل أن تكون قد عجزت لسبب ما عن اللحاق بالقطار .

فهز القديس رأسه . وقال بعد صمت قصير :

— اذا صح أحد هذين الافتراضين وجب أن نجدها أو نجد برقية منها فى منزل شارع بروك .. فهلم بنا .. سأدخل هذا المنزل حتى ولو كانت جميع الجيوش الأوربية تترصدنى فيه ..

* * *

وصلت بهما السيارة الى شارع بروك .. فأجال القديس البصر حوله .

كان الشارع هادئا .. وحركة المرور فيه عادية .

ورأى القديس رجلا واقفا تحت أحد مصابيح الشارع .. وهو يدخن فى هدوء .. ويقرأ احدى الصحف .

ولما وقفت السيارة أمام المنزل . جاء رجل آخر .. فتحدث الى الرجل الأول .

وقد لاحظ القديس كل ذلك .. ولكنه تظاهر بأنه لم ير شيئا ..

فتح الباب . وصعد السلم مسرعا وتبعه روجر كونواى .

وجدا كل شىء فى المنزل على حاله كما تركاه .

فهالك القديس على أحد المقاعد .. وظهرت على وجهه علامات التفكير فقال روجر :

— من المؤكد اذن أنها لم تلحق بالقطار .

فأجابه القديس :

— ان القطار التالى لا يصل الى لندن الا فى منتصف الساعة السادسة من صباح غد . وهى تعلم ذلك .. وتعلم أننى انتظرها . وان الظروف تطورت بحيث أصبحت الاقامة فى هذا المنزل خطرا على سلامتنا . فمن المستحيل اذن أن يفوتها القطار دون أن تبعث الى ببرقية بهذا المعنى . كلا يا عزيزى روجر . أنا واثق أن باتريشيا غادرت ديفونشير بعد ظهر اليوم .. فاذا لم تكن قد وصلت فمعنى ذلك أنها اختفت .. معنى ذلك أنها أختطفت ...

أنا واثق من أن ماريوس اختطفها . وأنه سيتخذها سلاحا ضدى لكى يرغمنى على تسليم الاستاذ مارجان .

الفصل السابع

المطاردة

جفف روجر حبات العرق التى تصببت على جبينه وسأل بصوت خافت :

ـ الا تظن انك تبالغ فى التشاؤم ؟
ـ كلا ياروجر .. اننى ادركت كل هذه الحقائق عندما رأيتك فى المحطة بمفردك .. وقليل من التفكير يكفى لاقناعك بأن استنتاجاتى لا تقوم على الوهم او التشاؤم كما تتصور .
ـ ولكن كيف علم ماريوس ان ..
ـ ليس ابسر من ذلك .. انه تعقبنا الى هنا ليلة ان قابلته اول مرة .. ووضع هذا المنزل تحت رقابة جواسيسه . وكان من الطبيعى ان يتعقب الجواسيس باتريشيا هولم وغيرها ممن يترددون على هذا المنزل ولا يبعد ان يكون احد اولئك الجواسيس قد تبع باتريشيا الى (ديفونشير) .
كذلك ليس ابسر من اختطاف باتريشيا من القطار .. سيما وان القطار الذى سافرت فيه من القطارات البطيئة التى تقف فى المحطات الصغرى . وليس من المتعذر على ماريوس او احد رجاله ان يأخذ باتريشيا على غرة . فيلقى على وجهها منديلا مبللا بمادة مخدرة . ثم يحملها من القطار بطريقة ما .
نعم .. ان ماريوس قد اختطف باتريشيا .. هذه حقيقة لا شك فيها .. وفى نيته الآن ان يحاربنا بها . فيضعها امامه .. ويتحدانا ان نهاجمه .

* * *

وهنا فقط شعر روجر بأنه قد بدأ يفهم .
قال بصوت خافت :
ـ اذا صح هذا .. كان معناه انه عرف كيف ينتصر

علينا ..
لمعت عينا القديس وقال بلهجة التهديد :
ـ ولكنه لم ينتصر بعد .
ووثب الى النافذة .. واطل منها ثم هز رأسه وقال :
ـ لقد ذهبا .
ـ هل كان هناك من يرقب المنزل ؟
ـ نعم .. كان هناك رجلان .. وقد ابصرا بنا .. واكبر الظن انهما انطلقا لابلاغ ماريوس نبأ عودتنا ..
ـ اذن فقد انطلقا فى النور واللحظة .
ـ نعم .. ومن المؤكد انهما لم يبتعدا كثيرا .. علم بنا ..
وانصرفا من المنزل بسرعة .. ووثبا الى السيارة .
قال القديس :
ـ اجلس انت امام عجلة القيادة .. ودعنى اتفرس فى وجوه المارة . اننى رأيت الشقيين .. فيهما من الاجانب وفى استطاعتى ان اعرفهما بين آلاف الناس .
ـ ولكن اى طريق نسلك ؟
ـ انطلق بالسيارة كيفما اتفق .. فالشوارع فى هذا الحى قليلة .. اجعل من شارع بروك مركز الدائرة التى تجمع ضمن حدودها شوارع (ريجنت) و (نيوبوند) اكسفورد) وميدان (هانوفر) .
فاطاع روجر .. واطلق العنان للسيارة .. وهو قليل الايمان بوجاهة هذا الرأى .. ذلك انه كان يعتقد ان البحث عن رجلين مجهولين فى كل هذه الشوارع المزدحمة بالمارة هو اشبه ما يكون بالبحث عن صخرة معينة وسط الصحراء الكبرى .
على انه كان مخطئا .. فقد غاب عنه ان الناس فى

المدن الكبرى يميلون الى اجتياز الشوارع الحافلة بالمارة دون الأزقة المهجورة . وان الاجانب منهم بصفة خاصة يشفقون على انفسهم ان يضلوا الا فى الشوارع الكبيرة القليلة المنحنيات والتعاريج .

قال له القديس وهو يحثه على الاسراع :

ــ والآن .. انحرف فى شارع ليجو .. هذا حسن .

واجتازت السيارة شارع ليجو . فقال القديس :

ــ عليك الآن بشارع (بوند)

فتنهد روجر وقال :

ــ لقد ارتكبنا حتى الآن اربع مخالفات .

ــ لا يهمنى ان نرتكب مائة مخالفة .. المهم ان ننجح .

وما هى الا لحظة .. حتى كانت السيارة قد طوت شارع بوند .

قال القديس :

ــ عليك الآن بشارع (جورج ستريت) .. هذا حسن .. آه .. ها هما .

واجال القديس البصر فى انحاء تلك الشارع الضيق . وهتف :

ــ لا يوجد فى الشارع سواهما .. هذا من حسن الحظ .

ووثب من السيارة قبل ان تقف .. واسرع نحو الرجلين . وانقض على احدهما دون تحية .. ودون شىء من المقدمات .. فلكمه فى فكه لكمة شديدة جعلته يدور حول نفسه .. ولكن القديس تلقى الرجل بين ساعديه قبل ان يسقط على الأرض واسرع به الى السيارة .

وبعد لحظة يسيرة .. لحق به روجر حاملا الرجل الثانى .

هتف القديس :

ــ والآن .. لنعد الى المنزل .

* * *

كان احد الجاسوسيين طويل القامة .. هزيلا .. اما الاخر فكان قصيرا بدينا .. وقد فقد الاول رشده .. اما الثانى فانه افاق من ذهوله ودهشته بسرعة .. وحاول ان يستغيث .. فضغط القديس على عنقه بقسوة .. وقال له مهددا :

ــ حذار ان تستغيث .. والا ازهقت روحك .

واحس الرجل باصابع القديس الفولاذية تضغط عنقه وتحبس انفاسه فامتنع عن الاستغاثة .

* * *

تم اختطاف الجاسوسين بنجاح عظيم يرجع الفضل فيه الى سرعة القديس وخلو الشارع من المارة .

ولكن شارع بروك لم يكن خاليا من المارة .. وكان يتعين على القديس وصاحبه ان ينقلا الجاسوسين من السيارة الى المنزل دون أن يلفتا اليهما الأنظار .

قال القديس محدثا روجر :

ــ ابق انت فى السيارة .. ريثما افتح الباب .

وعاد بعد ان فتح الباب .. فاسند الجاسوس النحيف الى ساعده .. وضغط فوهة مسدسه فى جنب الجاسوس البدين .. وقال له :

ــ ادخل هذا المنزل دون ان تلتفت يمنة او يسرة .

فطاع الجاسوس .. ودخل الجميع المنزل دون ان يلفتوا الانظار .

اغلق القديس الباب وتهالك الجاسوس البدين على احد المقاعد .. وهتف بالنجليزية السقيمة موجها كلامه الى القديس :

— ايها اللص القذر .. ماذا ..

ولكنه لم يتم عبارته .. لانه راى فى يد القديس خنجرا لامع النصل .. ورأى فى عينيه نظرة صارمة تنم عن التهديد والحزم .

الفصل الثامن

الزائر

قال القديس وهو يلوح بالخنجر فى يده :

— من الخير لك ان تعتقد باننى جاد لا هازل .. انك ارتكبت او اشتركت فى ارتكاب جريمة من النوع الذى كان دائما يثير اشمئزازى واستنكارى .. وانا الآن اشد ما اكون اشمئزازا واستنكارا لجريمتك لانها تنصب على شخص عزيز على .

هل تفهم ما اعنى ؟

فتحرك الرجل فى مقعده بقلق .. ولكن وجهه ظل جامدا ..

استطرد القديس قائلا :

— وليس يهمنى انك كنت مجرد اداة فى يد الدكتور رايت ماريوس . اه .. ارى على وجهك علامات الدهشة .. فهل يزعجك اننى اعرف كل هذا ؟ ! ..

وهنا دس الجاسوس يده فى جيبه بسرعة .. ولكن القديس كان اسرع منه .. فامسك بساعده .. وضغطه بشدة .. حتى احس الرجل كان عظامه تتهشم ..

صاح :

— قبحا لك .. لقد كسرت ساعدى .

فقال القديس وهو يخرج المسدس من جيب الجاسوس :

— وسأكسر عنقك اذا اقدمت على مثل هذه المحاولة .

ودس المسدس فى جيبه .. واستطرد وهو يلوح بالخنجر امام عينى الرجل :

— حدث منذ بضعة اعوام .. عندما كنت فى جزيرة (بابوا) ان رجلا من الراسماليين اصر على استغلال بقعة من الارض تمتلكها احدى القبائل الهمجية ، ومضى الرجل فى مشروعه رغم تحذير العقلاء .

وقد افتقت اذهان رجال القبيلة عن طريقة عجيبة للتسلية على حساب صاحبنا الراسمالى .. فشرعوا فى تقطيع جثته .

وفى نيتى الآن ان اجرب معك هذه الطريقة .. ولكنى احب اولا ان تفكر فيما سيكون لهذه العملية الجراحية من تاثير على جمالك الساحر .

فمرت فى جسد الجاسوس رعدة شديدة . وهتف :

— يا الهى .. انك لا تستطيع ان ..

وحاول ان يتملص من قبضة القديس .. فوضع هذا ركبته فوق صدره . وقال :

— لا ترفع صوتك هكذا .. اننى لا اريدك على ان تزعج المارة بصوتك المنكر .

تقول اننى لا استطيع .. ولكنى اؤكد لك اننى استطيع

اجراء هذه العملية بكل مهارة ولباقة .. واضمن لك الا تشعر بأى ألم اثناء العملية .. ولكنى لا اضمن لك الراحة ولا اضمن جمال وجهك بعد أن أزيل جفنيك .

لذلك يحسن بك أن تفكر فى الأمر مليا . واذا أفضيت الى بكل ما عندك فقد أعدل عن ازالة جفنيك الساحرين

— اننى لن .

فقاطعه القديس :

— لن تتكلم ؟ هذا حسن . هل تؤثر أن تفقد جفنيك وتصاب بالعمى تدريجيا . على أن تتكلم . وتسمعنى صوتك الهادىء العذب هل تريد أن ترغمنى على أن الهب قدميك بالحديد المحمى . وأزيل اظافر اصابعك والجأ الى غير هذا وذاك من الاجراءات القاسية لكى احملك على الكلام . وانتزع منك الاعتراف انتزاعا ؟

على رسلك يا صاح . ولكن ثق انك ستجلب على نفسك عذابا لا مبرر له . لأنى سأرغمك على الكلام بكل وسيلة .

قال ذلك وادنى الخنجر من جفن الرجل بيد ثابتة .. وراح الجاسوس يحملق نحو الخنجر وقد عقد الرعب لسانه .

اما روجر كونواى . فانه لم يكن اقل رعبا وذهولا من الجاسوس ذلك انه لم ير قط فى عينى تمبلار مثل الصرامة والقسوة اللتين رآهما فى عينيه فى تلك اللحظة .

قال القديس بصوت أجوف :

— الا تنوى الكلام . ؟

فحاول الرجل ان يصرخ مستغيثا مرة اخرى .. ومرة اخرى ضغط القديس على عنقه . وحبس انفاسه .

وهبط الخنجر فى يد القديس حتى مس جفن الرجل .

وهنا شعر روجر بالعرق يتصبب على جبينه . ولكنه ظل جامدا فى مكانه لا يقوى على الحركة او الكلام .

كانت نظرات القديس وحركاته . تشعر بأنه لن يتردد فى انفاذ تهديده وقد شعر الجاسوس البدين بمثل ذلك . وافلتت من فمه آنة عميقة .

قال القديس مرددا :

— الا تنوى الكلام ؟

— فأجاب الجاسوس على الفور . فى صوت اقرب الى الهمس :

— سأتكلم .

وصمت لحظة ثم استطرد :

— سأتكلم .. سأقول كل شىء .. فقط ابعد هذا الخنجر . فلزم القديس السكون قليلا . وبدت على وجهه علامات التفكير ثم رفع الخنجر ببطء . ونظر اليه كأنه لم يره قبل ذلك .

قال بصوت اجش :

— هذا مخيب . لم اتصور قط ان تطوع لى نفسى الاقدام على هذه الوحشية .

ونظر الى الجاسوس كما ينظر الى ذبابة تتحرك على زجاج النافذة ، ثم اشعل لفافة تبغ . وراح يدخن فى هدوء .

واعتدل الجاسوس فى جلسته . فقال له القديس .

— دعنا نعرف ما عندك ايها العزيز . تكلم واوجز .

— ماذا تريد ان تعرف ؟

— اريد اولا ان اعرف ما حل بالفتاة التى اختطفتموها الليلة .

— ذلك ما لا علم لى به .

فدس القديس يده فى جيوبه . وقال :
ـــ يخيل الى انك لا تشعر بحقيقة مركزك . لقد قلت لك منذ البداية انك تخدع نفسك اذا كنت تعتقد بأنى لا اقرن القول بالعمل وانني اتردد لحظة واحدة فى تنفيذ تهديدى .
انني على استعداد للشروع فى العملية وقتما تشاء . فمن الخير لك اذن ان تتكلم وتسمعنى صوتك . لأن عقوبته تنسينى فظاعة العملية التى كدت اشرع فيها .
تمرت بجسد الرجل تشعريرة شديدة وغاص فى مقعده وهو يصيح :
ـــ قلت لك اننى لا اعلم . اقسم لك اننى .
ـــ اذن فاسرد على كل ما تعلمه ايها الفار القذر . قل ما تريد قوله . وسأذكرك بالباقى فيما بعد .
تكلم الرجل بالانجليزية الـــتيبة وبصوت تنم نبراته عما يعتمل فى نفسه من الرعب والذعر .
قال انه يأتمر بأوامر الدكتور ماريوس . وانه كان احد الذين قاموا بمراقبة شارع (بروك) فى اليومين الاخيرين . وان اثنين من زملائه ابصرا الحقائب وهى توضع فى السيارة فى مساء ذلك اليوم فاسرعا لابلاغ الامر الى الدكتور ماريوس .
ـــ هل ذهبا معا ؟
ـــ نعم .. وهى غلطة سوف يؤاخذهما عليها الدكتور ماريوس . وقد عاد احد الرجلين بعد ذلك . ولكنه لم يجد اثرا لسيارتك . فحينئذ قال الدكتور ماريوس انه ادخل بعض التعديلات على خطته . وانه لم يعد من الضرورى ان يقوم اكثر من رجل واحد بمراقبة هذا المنزل وامرنى مع صديقى هرمان هذا ـــ واشار الى الجاسوس

النحيف ـــ ان نتناوب فى مراقبة المنزل .
وكان هرمان قد جاء ليقوم بالمراقبة عوضا عنى . ولكن حدث فى ذات اللحظة ان عادت سيارتكما . فانطلقنا معا لابلاغ الامر الى الدكتور ماريوس .
ـــ انطلقتما معا ؟
ـــ نعم .
ـــ هذه غلطة سوف يؤاخذكما عليها الدكتور ماريوس .
فأطرق الرجل برأسه . ثم مضى فى قصته . فقال ان رجلا اخر من زملائه انطلق فى اثر الفتاة (باتريشيا هولم) لأن الدكتور ماريوس امر بمراقبة كل شخص يتردد على هذا المنزل . ولكنه لم يفض بالأسباب التى تحمله على هذه المراقبة . بيد انه اكد ان هذه الاسباب على جانب عظيم من الاهمية .
ـــ يخيل الى ان الدكتور ماريوس يتجنب مقابلتى شخصيا . وذلك يدل على الحكمة واصالة الرأى .
ـــ لم يكن بوسعنا ان .
فهتف القديس .
ـــ لم يكن بوسعكم . أرى انك تتكلم بصيغة الجمع
ـــ اريد ان .
ـــ انا اعرف ماذا تريد ايها العزيز . انت تريد ان توهمنى بانك لا تعلم من المسألة اكثر مما قلت . ولكنى اعرف غير ذلك . اعرف انك لست من الاشقياء العاديين الذين يستأجرهم ماريوس لمراقبة خصومه . واعرف انك تشتغل بالتجسس لحساب احدى الدول الاجنبية .
واعلم انك ـــ وهذه ســـذك ـــ غرى من واجبك نحو الدولة التى تخدمها ـــ وهى فى الغالب الدولة التى تنتمى اليها ـــ

أن تمضي في الكذب والانكار الى النهـاية .

وهذا حسن . وليس يسعـني الا ان احني رأسي احتراما لشعورك الوطني . بيد ان اعجابي بك ينتهي عند هذا الحد . لأن بيننا حسابا خاصا يجب تصفيته .

ــ انا لم اقصـد .

ــ لا تكذب . انني لا احب الكذب . اصـغ الى ايهـا الحيوان القـذر . اذا انقضت دقيقـة دون ان تتكلم فانني لن أتردد في اجراء العملية التي حدثتك عنهـا . ولن تمنعني اية قوة على الأرض من ازالة جفنيك وتمزيق جسـدك .

لقد زل لسـانك زلـة خطيرة عنـدما تكلمت بصـيغة الجمع . وقد دل هذا الزلل على انك ملم تمـام الالمـام بكل صغيرة وكبيرة . وانك لست مجرد لص اجير .

انني رجل شديد الفضـول الى درجة خطيرة . وقـد اثرت فضـولي . فيجب اذن ان تتـكلم . وتحـدثني عن نفسـك .. اذكر لي تاريخ حيـاتك .. ومن هـو احب نجوم السـينما اليـك .. وهل تنـام بالبيجـاما .. او بالقميص .. حدثني بكل صـغيرة وكبيرة عن نفسك وقل لي مثـلا . هل ذكر لك ماريوس ان مشروعاته وخططه تتضمن شيئا خاصا بالفتاة التي اختطفتموها ؟

ــ كلا . لم يذكر لي شيئا .

ــ انت تكذب للمرة الثـانية . فاذا عـدت الى الكذب عطلت احـد اعضـائك .

السؤال الثـاني . انا اعلم ان ماريوس اسـتطاع تخدير الفتـاة واختطافها من القطار قبل ان يصـل الى لنـدن . فالى اي مكان ذهب بالفتـاة ؟ !

ــ لا اعلم . آه .

ــ لقد حذرتك من الكذب .

ــ انت شيطان مريد .

ــ كلا . انا فقط رجل امقت الكذب . واكره ان تقـام العقبـات في سـبيلي . والآن . هل في نيتك ان تتكلم وتذكر الحقـائق . او اذيقـك انواعـا من العـذاب لا تخطر لك ببـال ؟ .

فتمتم الرجل وهو يرتجف :

ــ انا لا اعلم شيئا . اقسم .

ــ اين ماريوس الآن ؟

ولكن الرجل لم يجب في الحـال . اذ دوى المكان في تلك اللحظة برنين احـد الاجراس .



جمـد القديس في مكـانه . ثم اسـتل الخنجر وهنـا فتح الجاسوس فمه وهم بان يصرخ . غير ان القديس وضع يده على فمه وسـدد الخنجر الى قلبه وقال مهـددا :

ــ اذا صرخت او نطقت بكلمة بعثت بك الى جهنم .

ثم التفت الى روجر وسـأله :

ــ من تظن القـادم يا روجر ؟

ــ ربـما كان المفتش تيـل .

ــ اتعتقـد انه اسـتطاع الاهتـداء الى مقرنا بهـذه السرعة ؟

ــ في استطاعتنا ان نلزم الصمت والسكون . ولا نفتح البـاب .

ــ كلا . اذا لم نفتح البـاب حطموه لا يجب ان ننسى ان سـيارتنا في الخـارج . وهي تدل على وجـودنا هنـا . كلا . كلا .. يحسـن بنـا ان نستقبلهم .

ــ بالله . لقد اوشكنا ان نصـل الى غايتنا .

فلمعت عينا القديس . واخرج مسدسه وهو يقول :
— كن مطمئنا . فلن يستطيع انسان فى الوجود ان يمنعنا من الوصول الى غايتنا .
والآن . اذهب وافتح الباب .
فأطاع روجر فى الحال . ووقف القديس ينتظر فى هدوء .
اصاخ السمع والخنجر فى يسراه . والمسدس فى يمناه .
وعندما عاد روجر ومعه الشخص الذى دق الباب ، وثب قلب القديس بين ضلوعه . ولكن لم يطرا على سحنته اى تغير .
قال فى هدوء :
— يسرنى ان اراك مرة اخرى يا دكتور ماريوس .

الفصل التاسع

مناورة

اعتدلت قامة تمبلار . وارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ادهشت روجر . وجعلته يسائل نفسه . كيف استطاع هذا الرجل الجبار ان يسيطر على عواطفه ؟ . ويحتفظ بهدوئه وهو يجد نفسه وجها لوجه أمام خصمه الداهية .
استطرد القديس . بصوت فيه نبرة التهكم المتئدة التى تلازم صوته فى أحرج المواقف :
— من بواعث سرورى انك شرفتني بهذه الزيارة يا عزيزى ماريوس .

ثم التفت الى روجر وقال : صوب مسدسك الى هذا الزائر الكريم يا روجر .
فأطاع روجر .
وتقدم ماريوس خطوة الى الامام . ونظر حوله فى هدوء نظر الى الجاسوس النحيف الملقى على الارض . والى زميله السجين الجالس امام القديس .
ثم نظر الى روجر . والى المسدس الذى بيده .
وقال أخيرا بهدوء عجيب :
— ارى ان بعض اعوانى يتمتعون بضيافتك .
قال هذه العبارة بالانجليزية الصحيحة . وبصوت لا ينم عن الانفعال فأجابه القديس :
— الحق انني شغوف بجمع نماذج من الادميين . وقد وفقت اليوم الى هذين النموذجين .. اللذين يمثلان البداءة والنحافة فى الجنس البشرى ولكن كيف علمت انهما فى ضيافتى ؟ .
فقال ماريوس :
— لم اكن اعلم انهما فى ضيافتك . كل ما هنالك انهما ابطا فى العودة الى لتقديم تقرير عن اعمالهما . ولما كان اعوانى يطيعوننى طاعة عمياء . ولا يتراخون فى واجباتهم الا حيال ظروف قهرية لا قبل لهم على دفعها . فقد جئت بنفسى لارى ماذا حل بهما . وارجوك الآن ان تدعهما ينصرفان .
فرفع القديس حاجبيه فى دهشة وقال :
— انى لست واثقا من انهما يرغبان فى الانصراف . ان احدهما على الاقل فى حالة لا تسمح له بابداء رأيه فى الموضوع . اما الثانى . فانه كان يهم قبل قدومك بان يسرد على تاريخ حياته .. ومن المؤكد انه يمقت الانصراف الآن قبل ان يقص على ترجمة حياته .

وهنـا قال الجاسوس البدين كلاما بلغة لم يفهمها القديس . فاسرع هذا والقى على نفسه احدى الوسائد . وهو يقول :

— لا تقاطعنى . يجب ان اقول ما عندى أولا . ولك بعد ذلك ان تقول ما عندك . وانا واثق ان الدكتور ماريوس سيهتم بسماع حديثنا . سيما وان هذا الحديث يدور حوله شخصيا .

ونظر الى ماريوس .. فابتسم هذا العملاق وقال :

— الا ترى من الافضل ان تسمعنى أولا ؟

— كلا .. كلا .. دعنى اقول (النكتة) التى تتحير على شفتى اولا .. لاننى واثق ان (النكتة) التى ستقولها انت ابدع وارع .. وانا لا احب ان تبدو نكتتى فاترة بعد نكتتك .

فهز ماريوس كتفيه الضخمتين . وقال :

— اننى لم احضر الآن لسماع دعاباتك يا مستر ..

— مستر سيمون تمبلار يؤسفنى انك ضعيف الذاكرة .. فقد قدمت اليك نفسى أمس وذكرت لك اسمى .

— اصغ الى ما مسيو تمبلار .. انا لا اريد اضاعة الوقت .

وهنا قطب القديس حاجبيه . وتألقت فى عينيه نظرة فولاذية .

قال :

— هذا طبيعى .. وانا كذلك لا احب اضاعة الوقت .. فاشكر لك انك ذكرتنى بهذه الحقيقة .. وبهذه المناسبة — وقبل ان انسى — يجب ان اقول لك حقيقة أخري .. هى اننى معتزم قتلك .

وقبل أن نتفاوض فى طريقة قتلك .. ارى ان اوفر عليك

عناء الكلام .. فاقول ما فى نيتك ان تقوله .

فهز ماريوس كتفيه وقال :

— يخيل الى انك رجل ذكي يا مستر تمبلار .

— اشكرك .. وارجوك أن تترك ما عندك من تقريظ واطراء الى النهاية . وهناك من المسائل ما هو اهم من الاطراء .. والآن اصغ الى .. لاقول لك ما كان فى نيتك ان تقوله .

انت تريد اولا ان تقول لى انك اعتقلت فتاة تدعى باتريشيا هولم فاحنى العملاق رأسه وقال :

— يؤسفنى اننى اضطررت الى اتخاذ هذا الاجراء .. فتلك كانت الوسيلة الوحيدة لتقلم اظافر رجل مثلك .

— هذا اطراء جديد .. ولكن هل افهم من كلامك انك اتخذت من الآنسة باتريشيا هولم رهينة حتى اطلق سراح .. سراح اعوانك ؟

— آه .. كلا .. كلا .. اننى لم اتخذ الفتاة رهينة لهذا الغرض التافه فقال له تمبلار فى سذاجة :

— اوضح .. اننى لا افهمك .

— ان حرية هذه الفتاة وحياتها هما رهن بحياة رجل يهمنى امره وقد وفقت انت امس الى انتزاع هذا الرجل من ايدى اعوانى .

— هل انت واثق مما تقول ؟

— انا واثق من كل كلمة اقولها .. ومهما انكرت فاننى لا استطيع تكذيب عينى .

— اذن لنفرض انك واثق من أن الرجل الذى نتكلم عنه هو الآن فى قبضة يدى .

فقال ماريوس ببساطة :

— ولنفرض انك واثق من أن الآنسة باتريشيا هولم هى

الآن فى قبضـــة يدى .

ـــ ولكنى لا أعرف شيئا عن الرجل الذى تتكلم عنـــه .

ـــ وإذن فانا لا أعرف شـــيئا عن الآنســـة باتريشـــيا هولم .

فأطرق القديس برأســه وقال :

ـــ هذه مناقشـــة ظريفة . ولكنى كنت اتوقعهـــا على كل حـــال . والآن .

ـــ والآن .. ما دام كل منا يفهم صـــاحبه .. فلمـــاذا لا نضـــع أوراقنـــا على المـــائدة .

نحن متفقـــان على أن الوقت ثمين ولا يجب اضـــاعته . اقول لك بصراحة وايجـــاز أن الآنسة باتريشيا هولم سجينة عندى . فهل ستقول بصراحة وايجـــاز أن الاستاذ فارحـــان سـجين عنـــدك ؟ .

ـــ انك تمشى الى غرضـــك بخطوات واســـعة . على انك اعترفت الآن أمام اكثر من شـــاهد واحد . بانك اختطفت او اشتركت فى اختطاف باتريشـــيا . فهب أن رجـــال البوليس علموا بذلك ، أفلا يســـوء مركزك بسبب هذا الاعتراف ؟ !

فهز ماريوس رأســـه وأجـــاب :

ـــ لا أظن ذلك . فهنـــاك شـــاهد على اســـتعداد لأن يقرر بأننى كنت معه عندما حدث الاختطاف .

ـــ وهذا الشـــاهد هو أحـــد اللصـــوص المـــأجورين الذين تستعين بهم ؟ !

ـــ كلا .. كلا . هذا الشـــاهد من مواطنى .. وهو رجل عظيم القدر لا يمكن أن يرتاب احـــد فى صـــدق أقواله .

فهز القديس رأســـه فى هـــدوء ثم قال :

ـــ فهمت ... هل هذا كل ما عندك ؟ !

ـــ لقد قلت كل ما يجب ان يقـــال .

ـــ انى بعد جاء دورى لأفضى اليك بما عنـــدى .

واعـــاد الخنجر الى غمـــده .. وحانت منه التفـــاتة فى هذه اللحظة فرأى الجاســـوس النحيل يتحرك .. ويوشك أن ينبـــق من امســـاكه ولكنه لم يعبـــأ به وقـــال محـــدثا الجـــاسوس البـــدين :

ـــ حدث سيدك او شريكك بتفاصـــيل اللعبـــة الظريفة التى كنا نلعبهـــا قبـــل قدومه .

قل له كل شىء فى صـراحة .. فهو رجل طيب القلب كمـــا يبدو ذلك على خريطة وجهه .. وأنا واثق انه سيغفر لك الأخطاء التى تورطت فيهـــا .

❋ ❋ ❋

وهنا تكلم الجاسوس البدين بتلك اللغـــة الغريبـــة .

ولم يفهم القديس كلمة واحـــدة مما قيل .. ولكنه ادرك عندما لوح ماريوس بيـــديه ونطق ببضع كلمـــات بلهجـــة جافة أن الجـــاسوس البدين قد فرغ من ســـرد الوقـــائع .. وأن ماريوس يتخفى عليه بالـــلائمـــة .

وأخيرا ألقى ماريوس على القديس نظرة غريبـــة وقال :

ـــ هذا عجيب . ومع ذلك لا أرى على وجهـــك شـــيئا من دلائل الوحشـــية التى سمعتها عنـــك الآن .

فأجاب القديس :

ـــ أنت مخطىء .. من الخطأ دائمـــا أن يخدع الانســـان بالظواهر فهز ماريوس كتفيه وقال :

ـــ انى لست مخدوعـــا . ولكن لنعـــد الى حديثنـــا انك وفرت على عنـــاء الـــكلام والايضـــاح فلخصت الموقف تلخيصـــا حســـنا .. بعبـــارات موجزة حازمة .. فهل لى

ان ارجو ان تتخذ قرارك النهائى بنفس السرعة التى استعرضت بها حقيقة الموقف ؟

لقد كان من حسن الحظ اننى وجدتك هنا — وهو ما لم اكن ارجوه — فوفرت على هذه الصدفة السعيدة عناء البحث عنك .. ومكنت لى من ان اعرض عليك اقتراحى دون اضاعة شىء من الوقت .

افلا يكون من المحزن ان تفسد هذه البداية الطيبة والمصادفات السعيدة بترددك فى اتخاذ القرار الصالح ؟

فاجاب القديس :

— صدقت ..

وهبط عليه الوحى فى هذه اللحظة بالخطة التى يجب عليه ان يتبعها .

جاءته هذه الخطة عفو الخاطر .. دون ان يكلف نفسه عناء التفكير ولو انه فكر وعصر ذهنه لما اهتدى الى افضل منها .. او الى مثلها .

كان يعلم ان الموقف شديد التعقيد .. وان لعبة الشطرنج التى يلعبها مع خصمه قد تطورت حتى اصبح مجرد التفكير فى حلها مدعاة الى الهزيمة .

وادرك ان الوسيلة الوحيدة للفوز والانتصار هى فى تجنب الميدان الذى يدعوه الدكتور ماريوس للنزول اليه .. وفى تخطى القواعد التى يراها ماريوس كفيلة بتصفية الموقف .

كان الموقف فى لعبة الشطرنج يكاد يكون متعادلا .. ولكن القديس لم يكن الرجل الذى يرضى بان يعادله انسان آخر .

قال :

— الحق معك .. سأصدر قرارى باسرع مما تتصور .. اعطنى هذا المسدس ياروجر .. وابحث فى المطبخ عن

حبل متين .

وتناول القديس المسدس وخرج روجر .

ثم تحول القديس الى خصمه وقال :

— لعلك لاحظت ايها العزيز اننى رجل موفق فى تلخيص المواقف والوصول الى نتائج سريعة .. واكبر ظنى انك لا تتمتع بقسط كبير من موهبة الاستنتاج .. وقوة الملاحظة وفهم النتائج من المقدمات .. ولذلك اعتقد انك لم تدرك المعنى الذى ينطوى وراء طلب قطعة من الحبل المتين . فاقول لك باختصار اننى معتزم ان أجرب معك ذات الطريقة التى جربتها مع مساعدك هذا .

ولعلك ترى ان فى يدى مسدسا .. ولست ازعم اننى خير من يصيب الهدف .. او ان لى فى اطلاق الرصاص واصابة الهدف من مسافة بعيدة مثل براعة رعاة البقر فى غرب امريكا .. كلا .. ولكنى لست اعمى بحيث اخطىء جسمك الضخم اذا اطلقت عليك رصاصة .. وعلى ذلك فانه يحسن بك ان تذعن حتى يشد صديقى وثاقك ، اما اذا رفضت فاننى لن اتردد فى قتلك .. فاختر لنفسك ما يحلو .

فارتجفت اهداب العملاق . ولكنه ملك نفسه بسرعة قال بلهجة السخرية :

— يخيل الى انك فقدت السيطرة على الموقف يا مستر تمبلار . فرجل له مثل دهائك وبعد نظرك كان يجب ان يعلم باننى لست من الغباء بحيث اضع قدمى فى عرين الأسد دون احتياط العواقب .

ترى هل انا بحاجة لأن اذكرك بما يسبب الآنسة باتريشيا هولم اذا انا لم اعد الى المكان الذى سجنته فيه ؟ هل انا بحاجة لأن اذكرك بالخطر الذى يتهددها

اذا اصابنى مكروه على يديك ؟

لقد حسبتك اذكى مما ارى .

فابتسم القديس وقال بهدوء :

— انت مخطىء .. انك لم تقدر ذكائى حق التقدير .. وكنت من الغباوة والسذاجة بحيث حسبت ان فى استطاعتك اغرائى بمنازلتك فى الميدان الذى اخترته انت .

— لست افهمك .

— اذن فانا الذى بالغت فى تقدير ذكائك .. ولكن لا بأس . سأوضح لك الموقف . فاصغ الى .. وحاول ان تفهم .

ان فى استطاعتى ان اقول للبوليس كلاما عنك .. ولكن فى استطاعتك كذلك أن تقول للبوليس كلاما عنى .

واذن فنحن متعادلان فى هذه الناحية .

وفى استطاعتك ان تلحق بالانسة باتريشيا هولم شيئا من الاذى . ولكن فى استطاعتى كذلك ان احرمك من الاستاذ فرجان .

واذن فنحن متعادلان مرة اخرى .

فقاطعه ماريوس :

— فى استطاعتنا ان نستبعد رجال البوليس من حسابنا .. فاذا فعلنا ذلك . وتبادلنا الاسرى .. كان هناك .....

— انت لا تفهمنى .. انني اذا وافقت . كان ذلك تسليما من جانبى .

فرفع ماريوس حاجبيه وقال :

— وسيكون تسليما من جانبى كذلك .. لانني ساطلق سراح الانسة باتريشيا هولم .

— هناك بعض فوارق يا صديقى العزيز .. فانت مثلا

لست بحاجة الى باتريشيا الا كرهينة .. اما انا ففى اشد الحاجة الى فارجان .

اريد ان اطعمه وابتاع له الثياب الانيقة . واللعب المسلية .. واريد ان اجلس اليه بعد الطعام لاتسلى برؤية سحابته البنفسجية .. وذلك ايضا ما تريده انت منه .

فاذا انا رفضت اقتراحك وتركتك تذهب . ظلت باتريشيا مهددة كما هى الآن . والخطر الذى يتهددها واحد سواء تركتك تذهب او ابقيتك هنا .. والفارق الوحيد هو انك اذا ذهبت .. ضاع منى طرف الخيط الذى يرشدنى الى مكانها وتعين على ان اعتمد على الحظ والمصادفات فى بحثى عنها . اما بقاؤك هنا .. فانه يضع فى يدى سلاحا لا تنكر اهميته .

— انك لن تربح شيئا من .....

— انت واهم .. ان بقاءك هنا يجعلنى اربح كل شىء .. او اخسر كل شىء . وانا رجل مجازف .. اوثر مشاطرة الاسد طعامه على التهام اللقمة السائغة .

* * *

وعاد روجر فى هذه اللحظة ومعه حبل طويل . فانتزع القديس من جيبه اسطوانة صغيرة لامعة ووضعها فى فوهة المسدس بسرعة . وقال :

— اذا اطلقت الرصاص الآن فان الطلق لا يحدث صوتا مسموعا .

— انك لن تربح شيئا اذا قتلتنى .

— ولكنى لا اخسر شيئا . ومهما يكن من امر فان هذا الجدل لا يفيد وبعد فاننى قد لا اقتلك .. وقد

اكتفى باطلاق رصاصة على كبدك .. وعندئذ تتمنى ان تقتل وان تجيئنى الى كل ما اريد لكى اجهز عليك برصاصة اخرى وانقذك من آلامك . ففكر فى الأمر يا صاحبى . واذكر لى قرارك قبل انقضاء دقيقتين .

فوضع ماريوس يديه وراء ظهره وقال :

ـ اذا ساوفر عليك هاتين الدقيقتين .. واسمح لك بان تشد وثاقى ما دمت تعتقد ان ذلك يفيدك .

فقال القديس :

ـ احزم يديه جيدا يا روجر .. واشدد وثاق قدميه .

وقد ادرك القديس من استسلام ماريوس انه لم يقتنع بقصة التعذيب التى رواها له الجاسوس البدين . فظن انها مجرد دعابة يراد بها التهويش .

راح القديس يرقب روجر وهو يشد وثاق غريمه العملاق .. حتى اذا فرغ روجر من هذه المهمة دفع اليه القديس مسدسه وهو يقول :

ـ صوب اليه هذا المسدس .

وهنا خطر له خاطر فجائى فقال :

ـ يحسن ان تفتشه يا روجر قبل ان تبدأ .

عندئذ انقلبت سحنة ماريوس .. ولمع فى عينيه بريق الخوف .. فادرك القديس انه كان موفقا فى هذا الخاطر .

وقد حاول ماريوس ان يقاوم .. ولكنه كان مشدود الوثاق .

* * *

انتظر القديس نتيجة التفتيش بفارغ الصبر .

كان على استعداد فى تلك الليلة لأن يرتكب كل ضروب القسوة لانقاذ باتريشيا .. ولكنه كان فى ذات الوقت يشعر بينه وبين نفسه بعقم وسائل التعذيب مع رجل مثل ماريوس .

وقد كان فى استطاعته ان يعود الى ارهاب الجاسوس البدين .. ولكن النجاح لم يكن مضمونا سيما وقد وجد الجاسوس على مقربة منه شخصا آخر يشد ازره معنويا .. او يسنده فيمنعه من الكلام لذلك كان سرور القديس عظيما حين رأى علامات الرعب تتجلى على وجه العملاق .

كان هذا الرعب دليلا على انه اعتمد اكثر مما يجب على متانة مركزه .. وعلى اعتقاده بأن خصومه لا يجسرون على اعتقاله او الحاق الأذى به .

غمغم ماريوس :

ـ تبا لك ايها الخنزير القذر .

فهز القديس كتفيه وقال :

ـ شكرا لك ايها الخنزير النظيف .

وتناول من يد روجر رسالة وجدها هذا الأخير فى جيب ماريوس واستطرد قائلا :

ـ انك اخطأت خطأ كبيرا يا ماريوس حين جازفت بالقدوم الى هنا ومعك هذه الرسالة .

انا شخصيا لا احمل معى ابدا رسائل او مذكرات مكتوبة . ولكن يحتمل انك كنت تنوى وضع هذه الرسالة فى صندوق البريد .

والقى ببصره على عنوان الرسالة . وغمغم :

ـ آه .. انها مرسلة الى صديقنا القديم الارشيدوق رودلف .. لابد انها رسالة هامة .

وفض الغلاف بسرعة .. وتناول الرسالة والقى عليها نظرة ..

وجد انها مكتوبة بلغة لا يعرفها .. وربما كانت اللغة الهولندية او الروسية .. او لغة اخرى اصطلح الارشيدوق وماريوس على التفاهم بها .

بيد أن تعقد اللغة لم يكن من العقبات التى بحسبان القديس فى امرها .. فتقدم الى جهاز التليفون .. وما هى الا لحظة حتى كان على اتصال بصديق له فى وزارة الخارجية البريطانية من مؤهلاته انه يفهم كل لغة على الخريطة الأوروبية .

قال لصديقه بعد ان تبادلا عبارات التحية :

ــ يسرنى انى وجدتك .. فاصغ الى فان عندى رسالة اريد ان افهم معناها .. اننى لا استطيع النطق باية كلمة من كلماتها .. ولكنى سأملى عليك حروف كل كلمة ..

* * *

وقد استغرقت عملية الاملاء وقتا طويلا .. ولكن القديس كان واسع الصدر صبورا فى مثل هذه الظروف .

سجل القديس على الورق ترجمة الرسالة .. وعاد الى الغرفة وهو يبتسم فبادره روجر بقوله :

ــ هل وقفت على مضمون الرسالة ؟

ــ اننى سأذهب الآن .

ــ الى اين ؟ !

ــ الى منزل خارج قرية (بيرز) ..

ــ هل هى هناك ؟

ــ ذلك ما فهمته .

ودفع بالرسالة الى روجر فقرأ فى العبارات التى كتبها القديس ما يلى :

« .. وقد نقلت الفتاة الى مكان امين فى منزل قائم على تل بعيدا عن قرية (بيرز) بمقاطعة (سالونك) .. واعتقد اننى فى هذه المرة لن .. »

ولم يكن القديس قد كتب اكثر من ذلك .. لأن ذلك هو كل ما يهمه .

رد روجر الرسالة الى القديس وهو يقول :

ــ سأذهب معك .

ولكن القديس هز رأسه واجاب :

ــ كلا .. أرى من الضرورى أن تبقى هنا لمراقبة هذه الحيوانات انهم رهائنى .

ونظر الى ساعته ثم استطرد :

ــ اننى سأعود فى الساعة الرابعة صباحا . ولكن اذا ابطأت عن هذا الموعد فاطلق الرصاص على هؤلاء الأشقياء والحق بى .

وهنا تكلم ماريوس فقال :

ــ اما زلت مصرا على تغفيلك يا تمبلار ؟ الا تعلم ان رجالى فى (بيرز) قد تلقوا أوامرى بان يتخذوا من الآنسة باتريشيا هولم رهينة اذا هاجمهم مهاجم او وجدوا أنفسهم فى مأزق ؟

فمشى اليه القديس وقال وهو يحملق فى وجهه :

ــ اعلم ذلك يا ماريوس .. ولا يسعنى الا الرثاء لك .. ولتدابيرك .. ولكن الا تعلم بدورك ان رجالك اذا ضحوا بباتريشيا فقدت انت بذلك كل سلطان على ؟

ذلك هو احد مواضع الضعف فى خطتك .. اما موضع الضعف التالى فهو انك مرغم على ان تقضى الساعات

المتبلة فى الابتهال الى الله ان يكلل عملى بالنجاح .. لاننى اذا لم أنجح .. او اذا اصاب باتريشيا أذى .. فاننى اعود اليك توا واقتلك ابشع قتلة .

الفصل العاشر

الزائر الثانى

وقف روجر بالقرب من النافذة حتى تلاشى صوت سيارة القديس ومن ثم اشعل لفافة تبغ .. وراح يدخن فى هدوء .

وجد انه مضطر ان يقضى الليل ساهرا فى حراسة ماريوس وزميليه وانه اذا غفل من الحراسة لحظة واستطاع الاشقياء الفرار .. فشلت خطة القديس وساءت العاقبة .

نظر الى ماريوس بامعان .. وكان هذا العملاق قد تراخى فى مقعده واغمض عينيه .. كأنه يفكر .. ويعصر ذهنه .

ثم فتح ماريوس عينيه . وقال فى ادب :

— هل تسمح لى بان ادخن لفافة تبغ ؟ .

تفكر روجر لحظة ثم أجاب :

— ربما سمحت لك اذا استطعت ان تدخن وانت موثق اليدين .

— سأحاول ذلك .. ان علبة التبغ فى جيبى .

فمد روجر يده بحذر .. وبحث فى جيب ماريوس حتى وجد علبة التبغ وتناول منها لفافة ووضعها فى فم العملاق واشعلها .

قال ماريوس :

— شكرا لك .. هل لك فى لفافة ؟

فابتسم روجر واجاب :

— جرب حيلة أخرى غير هذه الحيلة القديمة المبتذلة .. اننى لا ادخن تبغ الغرباء .. ولا سيما فى هذه الايام .

ولكن اعلم بهذه المناسبة اننى اذا ضبطتك وانت تحاول احراق الحبل بلهب لفافة التبغ فاننى لا اتردد فى سحق اللفافة فى عينيك .

فهز ماريوس كتفيه ولم يجب . واستمر روجر يدخن فى هدوء .. ووقف مترددا لحظة . ثم قصد الى حيث يوجد جهاز التليفون .. واتصل بمنزل تمبلار فى (ميدنهيد) .

— آلو .. هل استطيع التحدث الى مستر نورمان كينت يا هوراس ؟ آه .. اهذا انت يا نورمان ؟ . نعم .. انا روجر .. لقد فكرت فى ان اتصل بك لاطمئنك اذا كان غيابنا قد اقلقك .. كلا .. ان القديس قد انطلق بالسيارة ... انا الان فى منزل شارع بروك .. كلا .. انها لم تحضر .. لان ماريوس اختطفها من القطار .. ولكننا اقتنصنا ماريوس .. انه هنا . وانا قائم على حراسته .. نعم .. عرفنا مكانها انها فى قرية (بيرز) . وقد انطلق تمبلار لانقاذها .

ماذا تقول ؟ تريد ان تحضر ؟ ولكن كيف ؟ لا توجد قطارات الان .. وليس فى استطاعتك استئجار سيارة صالحة فى مثل هذه الساعة .. على انك لا تستطيع ان تفيدنى شيئا .. ليس فى استطاعتى ان اطيل الكلام معك اكثر من ذلك ... اذ يتعين على ان اراقب ماريوس وشركاءه .. انهم فى الغرفة

المجاورة .. الى اللقاء ايها العزيز .. ووضع السماعة .

* * *

ولكن خطر له فيما بعد انه كان يستطيع الاستفادة من نورمان كينت ..

كان يستطيع الاستعانة به على شد وثاق الجاسوسين البدين والهزيل فان البدين كان مطلق اليدين والقدمين . وكان الهزيل قد افاق من اغمائه واصبح فى مقدورهما ان يتحركا اذا وجدا الجرأة على ذلك .

نعم .. لقد غفل القديس قبل رحيله عن شد وثاق هذين الجاسوسين ولكن كان له عذره المقبول . وهو رغبته فى انقاذ باتريشيا بأسرع ما يمكن .

ومرت ساعة .. وبدأ روجر يشعر بالجوع .

لم يكن قد تناول شيئا من الطعام منذ غادر (ميدنهيد) فى الصباح ..

فكر فى انه اذا قصد الى المطبخ فى البحث عن الطعام تعين عليه ان يسوق الأسرى الثلاثة امامه .

ولكن المطبخ كان ضيقا ولا يتسع لهم جميعا .

ووجد روجر آخر الأمر . ان من الاسلم له ان يصبر على الجوع ..

نظر الى الساعة المثبتة بالجدار .

يجب ان تنقضى اربع ساعات قبل ان يطلق الرصاص على الأسرى كما امره القديس فلا مناص اذن من احتمال هذه الساعات الطويلة .

لو كان القديس فى موضعه لتفتق ذهنه عن احدى الحيل .. اما هو .. فانه كان اقل خبرة من القديس .

وكان من المحتمل جدا اذا هو حاول اختطاف بعض الطعام من المطبخ ان يتالب عليه اولئك الاشقياء ويغلبوه على امره .

آه لو خطر لنورمان كينت ان يحضر ؟ !

وجلس روجر على حافة المائدة .. وراح يحرك المسدس فى يده بخمول ..

* * *

لزم ماريوس جانب السكون ..

انطفأت لفافة التبغ فى فمه .. ولكنه لم يطلب اشعالها ..

اما الجاسوس البدين .. فانه جعل يتحرك فى مكانه بقلق .. وينظر الى روجر بعينين كعينى الثعبان .

واما الجاسوس الذين .. فانه ظل واقفا فى احد الاركان .. وراح ينظر كذلك الى روجر ولا يحول عينيه عن وجهه .

وساد صمت عميق مزعج .. فجعل روجر يصفر بشفتيه احدى الاغنيات .

خيل اليه ان اعصابه توشك ان تتمزق .. وراح يحسد القديس فى سره على قوة اعصابه .. وسيطرته على نفسه ..

لو كان القديس فى موضعه لما صبر على الجوع .. لو كان فى موضعه لارغم الأسرى الثلاثة على ان يصنعوا له طعاما فاخرا .. ويمدوا له المائدة .. بل ولارغمهم على ان يرقصوا لادخال التسلية على نفسه .

اما هو ..

يالله .. الا يستطيع بطريقة ما ان يتخلص من هذا الصمت الخانق . ومن هذه العيون التى تراقبه .. ولا تتحول عن وجهه ؟!

نعم .. لماذا لم يخطر له قط ببال ان يشتغل مروضا للوحوش ..

ان المروض الذي يجد نفسه حبيسا مع الوحوش في قفص واحد .. لابد ان يشعر بمثل شعوره الآن ..

لا فارق الآن بين مركزه ومركز مروض الوحوش فكلاهما يسيطر على الموقف سيطرة سطحية .. وكلاهما يشعر بالقلق امام الوحشية المكظومة والعيون التي لا تتحول عن وجهه .

كلاهما يحس بأنه امام قوة تتحفز للوثوب .. وتنتظر الفرصة ..

وتنتظر .. ولا تتعب من الانتظار ..

كان اولئك الوحوش الآدميون يرقبونه .. ويصعدونه بعيونهم .. ويسبرون غور نفسه .. ويبحثون عن مواضع ضعفه .. ويفكرون ويدبرون .. ويتحفزون للوثوب .

توترت اعصابه . وشعر بالأزمة تقترب .

* * *

وفجأة .. تكلم الجاسوس البدين .. فقال كلاما بتلك اللغة غير المفهومة ..

صاح به روجر :

ــ اسكت يا هذا . اذا اردت ان تقول شيئا فتكلم بالانجليزية .. اذا عدت الى الكلام بهذه اللغة المنكرة هشمت رأسك بمقبض المسدس ..

ولكن الرجل نظر اليه متحديا .. واستمر يتكلم بلغته الغريبة .. وعندئذ وثب روجر من مكانه .. واقترب منه .. ويده فوق رأسه .. استعدادا لان يهوي بها على وجه الجاسوس ..

غير ان الرجل لم يعبأ به . ونظر اليه في وقاحة .

وعندئذ وقع ما لم يحسب له روجر حسابا .

كانت خطة الجواسيس الثلاثة غاية في البساطة .. فقد وقف روجر امام الجاسوس البدين مهددا . فاصبح ماريوس وراءه .

ونسى روجر ان ماريوس وان يكن موثوق القدمين .. الا انه يستطيع تحريك ساقيه .. وذلك ما فعله ماريوس .. فانه رفع قدميه بسرعة .. واهوى بهما بكل قوته على ظهر روجر .. فصرخ هذا متألما وسقط على الارض .. وهو يشعر بأن سلسلته الفقرية قد تحطمت .

فانتهز الجاسوسان هذه الفرصة المنتظرة .. وانقضا عليه . وانتزعا المسدس من يده .

وكان الألم قد افقد روجر صوابه ، فلم يفكر في اطلاق الرصاص .

كذلك لم يكن في استطاعته ان يصرخ مستغيثا ، اذ شعر كأن انفاسه قد احتبست . وأن رئتيه قد اصابهما شلل .

لكمه الرجل الهزيل على وجهه لكمة شديدة ، وصاح ماريوس مجددا الجاسوس البدين :

ــ حل وثاقي يا اوتو .. ايها المغفل .

فاسرع اليه اوتو وحل وثاقه وهو يتمتم بضع كلمات على سبيل الاعتذار .

قال ماريوس :

ــ سأفكر في معاقبتك فيما بعد يا اوتو .. ولكن ما فعلته الآن قد محا بعض زلتك . اشدد وثاقه بهذا الحبل .

* * *

وشد اوتو وثاق روجر دون ان يلقى اية مقاومة .
والواقع .. ان روجر كان فى حالة قريبة الى الاغماء .
كان مفتوح العينين .. ولكنه لا يرى شيئا .
وقال ماريوس محدثا الجاسوس الهزيل :
ــ ابحث عن حبل آخر يا هرمان .
فأطاع هرمان ، وأحكم الثلاثة وثاق روجر .. ثم اسرع ماريوس الى جهاز التليفون ، وسمعه روجر وهو يهتف :
ــ الو .. آلو .. اريد التحدث الى قرية (برز) .. ماذا تقول ، الخط التليفوني مع (برز) معطل يا للشيطان ، ومتى يمكن اصلاحه ؟ غدا ؟ ولكنى اريد التحدث فى مسألة هامة ، مسألة موت او حياة .. اذا ارسلت برقية هل تسلم الليلة ؟ لا يمكن ؟ هل انت واثق ؟ شكرا لك .
ووضع السماعة ، ثم تناولها مرة اخرى ، واتصل برقم ٩٩٩٩ وستمنستر ، وراح فى هذه المرة يتكلم ويلقى تعليماته بتلك اللغة التى لا يفهمها روجر .
كانت اوامره وتعليماته مسهبة .. فاستغرقت بعض الوقت .
ثم وضع السماعة اخيرا .. وعاد الى روجر ورفسه بقدمه وهو يقول :
ــ ستبقى هنا ايها الخنزير كثمن لحسن سلوك صديقك .
ثم تحول الى الجاسوس الهزيل وقال :
ــ عليك بحراسته يا هرمان .. سأترك لك هذا المسدس .. ولكن صبرا .. يجب ان اعرف رقم هذا التليفون .
وحدق فى جهاز التليفون ، وسجل رقمه فى دفتر صغير معه . ثم قال محدثا هرمان :
ــ سأتصل بك تليفونيا اذا وجدت ضرورة لالقاء اوامر

جديدة فابق هنا .. ولا تبرح هذا المكان دون اذنى .
اما انت يا اوتو فستأتى معى . وسنطارد تمبلار بسيارتى .. لقد اصدرت اوامرى الى بعض الاعوان وسيترصدونه فى الطريق .. وسوف لا يدعونه يصل الى (برز) حيا .. اللهم الا اذا كانوا اغبياء مثلك .
على اننا سننطلق فى اثره زيادة فى الحيطة والحذر ..
ولكن صبرا .. هذا الخنزير الملقى على الارض قد اتصل تليفونيا بصديق له فى (ميدنهيد) ويحتمل ان يأتى هذا الصديق لاغاثته .. فاذا جاء فاقتنصه يا هرمان .. وحذار ان يفلت منك ..
ــ حسنا يا سيدى .
ــ هلم بنا يا اوتو .
وانصرف ماريوس واوتو ..
وهنا عجز روجر عن الاستمرار فى مقاومة الضعف الذى استولى عليه .. فاغمض عينيه وفقد الرشد .



وعندما افاق من اغمائه .. وقع بصره على الساعة المثبتة بالجدار .. وادرك ان اغماءته استمرت عشرين دقيقة .
ثم وقع بصره على هرمان .. وكان هذا جالسا امامه .. والمسدس باحدى يديه .. وبيده الاخرى مجلة مصورة كان يتصفحها بقلة اكتراث ..
وحانت من هرمان التفاتة .. ووجد ان روجر افاق من اغمائه .. فترك المجلة .. واقترب منه . وقال وهو يلكزه بقدميه :
ــ لقد قربت ساعتك ايها الخنزير القذر .

تبذل روجر مجهودا جبارا حتى استطاع أن يضبط نفسه ويكظم غيظه .

كان لا يزال يشعر بالام هائلة . فتجنب التصادم مع الجاسوس حتى لا يلحق به أذى يضاعف الامه .

قال هرمان :

— ان الدكتور ماريوس رجل عظيم .. انه أعظم رجل فى العالم .. ويكفى أن تراه وهو يضع احدى الخطط فى اسرع من لمح البصر لتؤمن بأن له عقل نابوليون .. ودهاء بسمارك .

واستمر الجاسوس يطرى سيده بتلك اللغة الغريبة ولم يفهم روجر كلامه .. ولكنه ادرك مبلغ احترامه لماريوس .. وايمانه بمقدرته ودهائه .

ولزم روجر الصمت .. وراح يستعرض فى ذهنه كل ما حدث بعد رحيل القديس .. ويفكر فى كل وسيلة ممكنة للخلاص من مازقه ..

ويئس هرمان من اثارة روجر .. وصفعه بيده .

ولما لزم روجر الصمت والهدوء .. بصق فى وجهه وقال :

— انك اجبن مما كنت اتصور .. انتم جميعا جبناء ايها الانجليز .. لا تعرفون الشجاعة الا اذا كنتم عصبة ضد فرد .

فقال روجر بهدوء :

— نعم .. هذا صحيح .

فحملق هرمان فى وجهه وقال :

— لحسن حظك انك لست الشخص الذى لطمنى .

ولم يتم كلامه ..

ذلك لأن جرس الباب رن فى هذه اللحظة . وكان رنينه

مفاجئا فازعج روجر وهرمان على السواء .

وابتسم هرمان أخيرا وقال :

— والان جاء دور صديقك ايها الخنزير .

فتنفس روجر الصعداء . ولكنه لم يجب .

اما هرمان فانه نظر اليه مهددا وقال :

— الويل لك اذا صرخت . او حذرت صديقك بكلمة .

ولكن روجر لم يعبأ بهذا التهديد .

كانت امامه هذه الفرصة الوحيدة للنجاة . فاذا لم يحذر نورمان فى الوقت المناسب . ضاعت هذه الفرصة . وضاع نورمان .

قال بقلة اكتراث :

— اذهب الى الشيطان .

فعاد اليه هرمان على عجل . واهوى على رأسه بقبضة المسدس .

كانت هذه اللطمة وحدها حقيقة بأن تفقده الرشد . ولكنه لم يفقد رشده . وقد قرر فيما بعد أن جمجمته لابد وأن تكون من الفولاذ لكي تحتمل مثل هذه اللطمة دون أن تتهشم .

ملك نفسه .. وحبس انفاسه . وراح يستجمع كل قواه استعدادا لان يصرخ محذرا نورمان من الخطر الذى يترصده .

وضع هرمان المسدس فى جيبه . دون أن يرفع اصبعه من الزناد . وفتح الباب . وتوارى خلفه .

ولكن لم يدخل احد ..

انتظر ..

وفجأة صاح روجر :

— كن على حذر يا نورمان ..

فرمته هرمان بنظرة تهديد .. ولكن بعد فوات الوقت ..

لم يعد بجديه الحذر .. وقد كانت الاوامر التى صدرت اليه صريحة ..

يجب ان يقتل النائم .. او- بالحرى .. يجب الا يدعه يفلت من يده .. سيما بعد ان سمع استغاثة روجر ..

خرج من مكمنه بحذر .. وخرج من الباب .. ولكنه لم يكد يتقدم خطوة واحدة .. حتى امتد من الظلام ساعد طويل .. واطبق على عنقه .. ثم امتدت يد اخرى .. وامسكت بالمسدس .

حاول ان يتملص .. ولكن بغير جدوى ..

وجد نفسه بلا حول ولا قوة .. تحت رحمة الاصابع الفولاذية التى توشك أن تزهق روحه ..

ثم برز من الظلام رجل ضخم الجسم .. وسمع روجر صوتا يقول :

— عد معى الى حيث كنت .. واسرد قصتك الطريفة على العم نبيل .

الفصل الحادى عشر

معركة فى الظلام

انطلق القديس بسيارته يسابق الريح .. وكانت الشوارع لا تزال حافلة برواد الملاهى .. ولكنه كان يقود السيارة ببراعة الابالسة وعندما حاول رجال المرور حمله على الوقوف..

ولما خرجت السيارة من لندن .. ضاعف القديس سرعتها .. بل اطلقها باقصى سرعتها .

كان يريد الوصول الى (بيرز) باسرع ما يمكن .

وانقضت ساعة . وهو لا يزال يجد فى السير مع

والأشجار تتخلف وراءه كأنها أشباح .. حتى كان يخيل للناظر الى السيارة على مبعدة انها سهم مضىء يشق ظلام الليل .

ثم انقضت نصف ساعة اخرى .

وفجأة .. دوى طلق نارى .. ورأى القديس اللوح الزجاجى الذى امامه يتهشم وينهار تحت قدميه .

مرت على شفتيه ابتسامة .

كان معتزما ان يواصل السير ولو طاردته جيوش العالم .. ولو سلطت عليه قنابل المدافع .

ثم دوى طلق ثان .. وثالث ورابع .. ومن حسن الحظ انه أبطأ قليلا بعد الطلق الثالث .. فمرت الرصاصة الرابعة امام عينيه .

تساءل عن سر هذه الطلقات النارية .

لم يكن يتوقعها فى هذه المرحلة من رحلته .

لابد ان قد طرأ على خطته شىء من الخلل .

لابد ان يكون روجر قد تهاون .. وان يكون ماريوس قد تمكن من الفرار ..

ولكن ..

ان فى استطاعته التفكير فى ذلك فيما بعد .. اما الان فيجب أن يتجنب الفخ الذى نصب له .

سمع دويا .

وكان الدوى فى هذه المرة صادرا من مكان قريب . كان صادرا من مكان تحت قدميه .. وقد عرف سره ومعناه عندما شعر بعجلة القيادة توشك ان تفلت من بين يديه .

انحرفت به السيارة .. وشعر بعجزه عن تقويم سيرها .. وخيل اليه كان قوة غامضة تقاومه .. وتحول عجلة القيادة فى اتجاه آخر .. غير الاتجاه الذى يريده .

ولكن غريزة أسرع من انحدار السيارة حفزته الى العمل بسرعة .. وهو يرى السيارة تنحرف رغم ارادته . وتوشك أن تهوى فى حفرة على جانب الطريق .

ضغط بقدمه ليوقف السيارة . وحرك عجلة القيادة بكل قوته . ليتجنب الحفرة .

وأخيرا وقفت السيارة . وكان وقوفها على حافة الهاوية ..

وكان القديس من سرعة الخاطر وحضور الذهن .... بحيث أطفأ مصابيح السيارة عقب وقوفها مباشرة .

ثم فكر .. وفكر بسرعة ..

لم يكن ثمة شك فى أن احدى الرصاصات أصابت اطار احدى عجلات السيارة فمزقته .. وكان ذلك سببا فى اختلال عجلة القيادة .

بحث فى جيوبه .. فلم يجد غير الخنجر الذى كان يهدد به الجاسوس البدين .

ولكنه كان واثقا من أن الرصاصات التى أطلقت عليه .. قد أطلقها أكثر من رجل واحد .. وقد يكون من السهل أن يقاوم بخنجره رجلا واحدا .. ولكن ليس من السهل بحال أن يقاوم به رجلين أو ثلاثة .

وكانت عيناه قد ألفتا الظلام .. توثب من السيارة وجثم على الأرض ، ونظر الى الوراء . فأبصر أشباحا تتحرك فى الظلام .. فأحصاها .

كان هناك أربعة أشباح .

قرر أن يقابلهم فى منتصف الطريق ، وأن يأخذهم على غرة اذا استطاع .. فأخذ يزحف على الأرض كالثعبان .

واقترب الرجال الأربعة من السيارة ، ثم افترقوا فجأة .. كأنما اتفقوا أن تنطلق من السيارة رصاصة فتصيب أحدهم ..

واستمر القديس فى زحفه .

كان يتعين عليه أن يتخلص من أولئك الأربعة .. وأن يستبدل اطار السيارة بأسرع ما يمكن .

على أنه تنهد بارتياح عندما رأى الرجال يتفرقون .. ذلك أنه يستطيع التغلب عليهم فرادى .. ولكنه لا يستطيع ذلك اذا تألبوا عليه ، وأحاطوا به .

وثب على أقرب الرجال اليه .. فذعر الرجل ، وتراجع خطوة الى الوراء .. وهم بتصويب بندقيته .. ولكن القديس لم يمهله .. بل لكمه فى فكه لكمة قوية .. ثم أهوى على رأسه بمقبض الخنجر .. فطوى الرجل على الأرض .. وأن أنينا مزعجا .

وسمعه أحد زملائه . فهجم على القديس .

وكان هذا قد انتشى بلذة انتصاره السريع .. فوضع خنجره بين أسنانه . واختطف البندقية التى سقطت من الرجل الأول .. وقذف بها الرجل الثانى .. فأصابت رأسه .... وسقطت معه ..

وهنا أسرع الرجلان الآخران لنجدة زميليهما .. فاستل القديس خنجره .. وعاجل أولهما بطعنة فى كتفه وأخرى فى عنقه .. كان يعلم أنه يناضل فى سبيل الحياة .. حياته وحياة باتريشيا هولم .. فلم يتردد فى أن يطعن .. وهو الذى كان طيلة حياته ينفر من سفك الدماء ..

سقط الرجل الثالث وهو يئن ويتأوه .. وهنا تنهد القديس .. وأحس بأن مهمته قد انتهت .. أو أوشكت على الانتهاء .. لأنه أصبح أمام غريم واحد .

ولكن هذا الغريم لم يكن كزملائه .

كان عملاقا هائل الجسم . لا يعرف للخوف معنى .

وتراجع العملاق خطوة الى الوراء . وصوب بندقيته .. ولكن القديس لم يمهله بل هجم عليه .

منذئذ رفع الرجل البندقية في يده كأنها عصا . واهوى بها على القديس . فهبطت على كتف هذا الأخير . وانقضت لحظة . خيل فيها الى القديس ان ساعده قد تعطل عن الحركة ..

ورفع الرجل البندقية في يده للمرة الثانية . وحينئذ هجم عليه القديس واطبق على عنقه باحدى يديه . وحاول ان يمسك بالبندقية بيده الأخرى .

وبدا بين الرجلين نضال مخيف .

سقطت البندقية من يد العملاق .. فانحنى كل من الرجلين لالتقاطها واحس القديس بان خصمه سيسبقه اليها .. فدفعها بقدمه بسرعة .. فتدحرجت وسقطت في الحفرة .

ولم يكن القديس قد رفع يده عن عنق خصمه .. فراح يضغط بشدة .. والرجل يحاول عبثا ان يتخلص منه .. وقد استحال هجومه الى مقاومة .

وانحنى الرجل الى الوراء .. فانحنى القديس معه ..

وقد انتقلت كل قوته الى الاصابع الفولاذية التي كان يضغط بها على عنق غريمه .

وسقط الرجل على الارض اخيرا .. وقد برزت عيناه من محجريهما فارتمى القديس فوقه .. وجثم على صدره ... ولكمه في وجهه بشدة .. ثم رفع رأسه بين يديه .. وراح يدق به الأرض .

* * *

وكان اول ما فعله القديس بعد أن جفف العرق المتصبب على جبينه .. انه راح يفتش الجثث المبعثرة حوله .. حتى عثر بمسدس محشو .. فوضعه في جيبه .. استعدادا

للطوارىء ..

ثم أسرع الى السيارة .. وبدا يعمل على استبدال العجلة التي انفجر اطارها ..

لم تستغرق عملية استبدال العجلة أكثر من خمس دقائق . ولكنها كانت في نظر القديس اطول من خمسة اعوام ..

كان يخشى في كل لحظة أن يعود أحد الرجال الى رشده .. ويستأنف النضال ..

ولكن من حسن الحظ انهم ظلوا في اماكنهم .. ولم يبق منهم غير واحد .. ولكنه آثر الرقاد في الهواء الطلق .. على مناضلة ذلك الخصم العنيد ..

* * *

على انه ما كاد يفرغ من عمله .. ويشرع في استئناف السير .. حتى رأى ضوءا قويا يغمر سيارته .. ويغمر الطريق امامه ..

نظر خلفه .. فرأى الضوء ينبعث من مصباحي سيارة اخرى على بعد بضعة امتار ..

كانت تلك السيارة واقفة في مكانها لا تتحرك .. وانه لا يزال حائرا في امرها .. اذا برصاصة تنطلق من السيارة الخلفية ..

واحس على الفور بشيء يحرق كتفه .. فادرك ان الرصاصة اصابته ..

فتحول الى الوراء .. وصوب المسدس .. واطلق رصاصة اصابت اطار احدى العجلتين الاماميتين في سيارة اعدائه .. ثم اطلق ثلاث رصاصات اخرى هشمت

المصابين .. وأطفأت النور وتركت السيارة الخلفية فى ظلام دامس ..

ومن ثم ترك لسيارته العنان .. وانطلق بها ينهب الأرض والرصاصات تصفر فى الهواء حول رأسه ..

وعندما اجتاز عدة أميال .. وأمن شر المطاردة .. أبطأ فى سيره قليلا .. وفحص اصابته ..

وجد أن الجرح الذى أصابه ظاهرى .. وأن الرصاصة لم تمس عظام الكتف .. فأخرج من جيبه منديلا وضعه فوق الجرح ليمنع النزيف بقدر الامكان ..

كان ذلك كل ما يملك من وسائل الاسعاف فى تلك الظروف ..

* * *

واستأنف سيره .. وهو يفكر فى كل تلك الفخاخ التى نصبت له .. وتلك المكائد التى دبرت لقتله .

بحث عن الأسباب .. وقلب فى ذهنه جميع الاحتمالات الممكنة .. فلم يجد تفسيرا أقرب الى الحقيقة من أن يكون ماريوس وزميلاه قد تمكنوا من الافلات من قبضة روجر .. وان يكون الأول قد اتصل تليفونيا ببعض رجاله . وأمرهم بأن يترصدوه فى الطريق .. ثم لحق بهم فى تلك السيارة .

نعم .. لابد أن يكون ذلك كذلك .

* * *

وهنا فقط تذكر القديس أنه ترك الجاسوسين البدين

والهزيل مطلقى السراح .. وجرى ذهنه الى روجر كونواى .. فهز رأسه وغمغم :

ــ يا له من مسكين .. ترى ماذا حل به ؟

* * *

وحدث عندما مرت السيارة بالقرب من مدينة (بريتنرى) أن لمح القديس رجلين من رجال البوليس بثيابهما الرسمية .. وقد وقفا فى عرض الطريق وبسطا سواعدهما .. لحمله على الوقوف .

ولكنه كان مصمما على الا يضيع دقيقة أخرى فواصل السير بأقصى سرعة السيارة .. ولاحظ الشرطيان اصراره على أن يتحداهما .. ففسحا له الطريق فى الوقت المناسب قبل أن تسحقهما السيارة .

الفصل الثانى عشر

الزائر الثالث

أمسك المفتش تيل بعنق هرمان .. ودفعه أمامه .. أو قل حمله بيديه حملا .. وألقى به على أحد المقاعد .. ووضع فى يديه الأصفاد .

ثم وقع بصره على روجر وهو ملقى على الأرض فهتف :

ــ ألو .. هل أنت فاقد الرشد ؟

فأجابه روجر بصوت خافت :

ــ كلا .. ولكنى أوشك أن أفقد رشدى .. فقد

اصبت بلطمة شديدة على راسى .. لاننى صرخت وحذرتك .
فهز تيـل راســه .
كانت تبـدو عليه دائمـا علامات التعب .. وكان يخيل للناظر اليه ان كل حركة تكلفه مجهودا كبيرا .
اجاب ببطء :
ــ كلا .. انك لم تحـذرنى . لاننى لا ادعى نورمان . ولكن ماذا تفعل هنـا ؟
فاجاب روجر ســاخرا :
ــ اننى عاجز عن أن افعل شـيئا كما ترى .
ــ ما اسـمك ؟
ففكر روجر طويلا .
فكر فى انه يستطيع ان يربح بعض الوقت بتضليل المفتش حتى يتمكن القديس من انفاذ خطته .
اجاب بهـدوء :
ــ انا ادعى سيمون تمبـلار .
فصـاح هرمان :
ــ كلا يا سيدي المفتش .. انه ليس سيمون تمبلار .. ان تمبـلار رحل منذ سـاعة .. وهذا الرجل يريد فقط ان يتستر على زميله .
فهز تيـل كتفيـه . وقال دون ان يكلف نفسـه عنـاء التفرس فى وجه روجر :
ــ قل لى انك ملك اوغنـدا فاصدقك .. اما تمبـلار فاننى اعرفه اكثر مما أعرف نفسى .

* * *

كانت سذاجة من روجر ان يحـاول تضليل المفتش تيل

بهـذه الطريقة ولكنه اراد فقط ان يكتسب الوقت .. لكى يتمكن القديس من ..
وتذكر على الفور ان مركز القديس يختلف الآن كثيـرا عما كان قبل فرار ماريوس .. وان القديس ربما يكون الآن فى طريقه الى حتفه وهو لا يشـعر .. فلمـاذا لا يقف تيل على الحقيقة لعـله ينقـذ القديس او يضيق الخنـاق على اعـدائه .
سـاله تيل وهو يتثاءب :
ــ ما اسمك ؟
فاجاب روجر :
ــ اسمى روجـر كونواى .
ــ من المعقول ان يكون هـذا اسمك . والآن .. هل انت مستعد لمرافقتى الى مركز البوليس يا مستر كونواى ؟
ــ طبعا .. ولكنى أود فقط ان اقول لك شيئا قبـل ان نبرح هـذا المكان ..
ــ ماذا تريد ان تقول ؟ هل تريد أن تقول انك المفتش تيـل ؟
ــ كلا .. سـأقول لك كلاما يهمك .. ولكنى أود اولا ان اجلس على احـد المقـاعد .. فارض الغرفة ليس لينـا كما يجب .
ثم اذا تكرمت على بعـد ذلك بلفـافة تبغ .
فنهض تيل . وعاونه فى الجلوس على احد المقـاعد . وقـدم اليه لفـافة تبغ .
قال روجر :
ــ سـأقول لك الحقيقة بحذافيرها .. نحن الآن ــ انا وتمبلار ــ فى ورطة عجيبة .. بسبب هرمان هـذا وبعض زملائه .

وانا لا اريد ان يقع تيبلار فى ايدى رجال البوليس .. ولكنى اعتقد انك اذا لم تقبض عليه باسرع ما يمكن .. اسبابه ما هو اسوا ..

انا اختطفنا الاستاذ فارجان .. ولكننا لم نكن اول من فكر اول عمل على اختطافه .. فقد سبقنا الى ذلك زملاء هرمان .

فصاح هرمان :

ـ هذه كذبة اخرى .. لا تصدقه واتك معه يا سيدى المفتش .. انك ضبطته متلبسا بالكذب .

فقاطعه روجر :

ـ وضبطك وفى يدك مسدس .. نعم .. كيف تفسر وجود المسدس فى يدك .. بل وكيف تفسر وجودى هنا موثق اليدين هكذا ؟ . تكلم .. قل انك بوليس سرى خاص .. وانك كنت فى طريقك لاستدعاء احد رجال الشرطة لكى يذهب بى الى مركز البوليس ..

وهنا اغمض تيل عينيه وقال :

ـ ليس فى استطاعتى ان اسمع حديث شخصين فى وقت واحد .. فايكما يريد ان يتكلم ؟

فقال روجر :

ـ اسمع الى اولا يا مستر تيل .

ـ يخيل الى ان قصتك لا تخلو من الطرافة .. فتكلم . وانت يا هرمان .. عليك ان تنتظر دورك .

فصمت هرمان .. وارسل روجر من فمه سحابة من الدخان ثم قال .

ـ اننا ذهبنا الى (ايشر) لاختطاف فارجان .. ولكن الاقبال كان عظيما على فارجان ليلة امس .. لاننا وجدنا ان آخرين قد سبقونا اليه . على ان الغلبة كانت لنا فى

النهاية .

ـ والى اين ذهبتم به ؟

فاجاب روجر :

ـ ارجو ان تعمل بالنصيحة التى اسديتها اليها ... فتلزم الصمت حتى اسرد عليك القصة بالطريقة التى تروقنى . والا سكت ولم اقل شيئا .

ـ تكلم .

ـ اختطفنا فارجان اذن .. وذهبنا به الى مكان بعيد عن لندن . ثم عدت مع تيبلار الى هذا المنزل لحمل بعض الامتعة والحقائب .. ولكن بهذه المناسبة .. كيف اهتديت الى هذا المنزل ؟

فاجاب تيل باختصار :

ـ بواسطة السيارة التى وجدناها محطمة امام منزل فارجان . ذهبت الى مدير شركة السيارات فى بيته . وايقظته من نومه .. وارغمته على ان يبحث فى دفاتره .. اتمم حديثك .

فالقى روجر نظرة سريعة على الساعة ثم قال :

ـ كان هرمان وزملاؤه يعلمون اننا مهتمون بالاستاذ فارجان .. واختراعه .. وليس هذا مجال الاسهاب .. والافاضة فى سرد الظروف التى اوقعتنا فى طريقهم .. ولكن لا .. سأسرد عليك الحقائق باسهاب .. هل تذكر الحوادث التى وقعت فى بيت فارجان ليلة تجربة الاختراع بحضور وزير الدفاع ؟

ـ نعم .

ـ واذن فانت تذكر كذلك ان هناك شخصين ـ رجلا وامراة ـ استطاعا شهود التجربة .. وتمكنا من الافلات من يد سائق سيارة مستر هوم سميث .

كان هـذا الرجل هو صديقى تمبلار .. اما المرأة فهى احدى صديقاته .

وقد اتفق انهما كانا عائدين الى لندن . فلفت انظارهما ضوء عجيب ينبعث من بيت فارجان .. وقررا استطلاع الحقيقة .. بيد انهما ما كادا يفرغان من شهود التجربة .. حتى فوجئا بقدوم متطفل آخر .. وهذا المتطفل الثانى هو العملاق الذى اكتشفتم آثار اقدامه فى ارض الحديقة .

وسأذكر لك الآن اسم هذا العملاق .. لانه زعيم العصابة التى ينتمى اليها هرمان .

فهتف هرمان :

ـ لا تصدقه يا سيدى المفتش .. انه يكذب .

فرفع تيل احد حاجبيه وقال :

ـ انه لم يذكر الاسم بعد . فكيف علمت انه سيكذب ؟

صاح روجر :

ـ انه يعلم انى اقول الحقيقة .. ولا شىء غير الحقيقة.

والآن سأذكر لك اسم ذلك العملاق .. انه الدكتور رايته ماريوس المعروف .. واذا كان لديك شك فى صحة ما اقول فليس ايسر عليك من ان تقارن بين حذائه وآثار الاقدام التى وجدت فى حديقة فارجان .

فاطرق تيل برأسه وقال فى تبلد :

ـ وهل طاردكم ماريوس ورجاله الى هذا المنزل ؟

ـ نعم .. واستطاعوا فوق ذلك ان يعتقلوا الفتاة التى كانت مع تمبلار فى تلك الليلة . ثم جاء ماريوس يعرض علينا الفتاة مقابل فارجان ولكن تمبلار رفض هذه الصفقة .. لانه يريد الاثنين . الفتاة وفارجان معا

وقد استطعنا ان نعرف مقر الفتاة .. فانطلق تمبلار

لانقاذها .. وبقيت هنا لحراسة هرمان وماريوس .. ورجل آخر بدين يقال له اوتو ..

ولكن هؤلاء الرجال تحلقوا بى . وتغلبوا على وشدوا وثاقى .. ثم انطلق ماريوس واوتو فى مطاردة سيمون .. وبقيت هنا فى حراسة هرمان كرهينة عن سلوك تمبلار .

وقد اتصل ماريوس تليفونيا ببعض اعوانه .. واعتقد انه دبر فخا للايقاع بالقديس قبل ان يصل الى الفتاة وتمبلار نفسه لا يعلم شيئا من كل هذا .. واكبر ظنى انه يسير الآن الى الموت وهو مغمض العينين .. فاذا ..

فقال تيل :

صبرا لحظة . فى اى مكان سجنت الفتاة ؟

وكان اهتمام تيل بالقاء هذا السؤال دليلا على اقتناعه بروجر . فتنهد هذا الاخير . ولكنه لم يجب .

شعر بانه كان صريحا وصادقا اكثر مما يجب .

وادرك ان ارشاد تيل الى مقر الفتاة .. هو بمثابة ارشاده الى المكان الذى يستطيع فيه اعتقال القديس.

قال تيل مرة اخرى :

فى اى مكان سجنت الفتاة ؟ .

ـ هل يمكن ان تعلم ذلك ؟

ـ اذا لم اعرف هذا المكان .. فكيف تنتظر منى ان انقذ تمبلار من الفخ الذى تقول انه يسير اليه وهو مغمض العينين ؟

* * *

وهنا فقط شعر روجر بالندم على انه صارح تيل بكل شىء .. لان صراحته اوقفته موقفا حرجا .. فهو

لا يستطيع الآن أن يمضي في ذكر الحقائق دون أن يعرض حرية القديس للخطر .

تمنى لو أنه لزم الصمت .

وتمنى أن تسوق إليه الظروف صديقه نورمان لإخراجه من هذا المأزق . والتعاون معه على تصفية الموقف دون تدخل البوليس . أرسل بصره الى الجدار حيث توجد الساعة ثم قال :

ـ اذا أردت انقاذ تمبلار فاتصل برجال البوليس في (بريتفري) .. واطلب اليهم منع القديس من الاستمرار في طريقه .. انه منطلق في سيارة مكشوفة وسيجتاز حتما طريق (بريتفري) .

أمهل هذا فاسرد عليك بقية القصة .. اسرع فالوقت ضيق .

ففتح تيل عينيه كأنه يستيقظ من نوم عميق ونظر الى روجر بحدة ثم سأل :

ـ ألم تذكر غير الحقيقة ؟

ـ أقسم لك بشرفي .

ـ انني أصدقك .

وتقدم الى جهاز التليفون بسرعة لا تنتظر من رجل له ضخامته .. وتنفس روجر الصعداء .

ضمن الآن سلامة القديس .. واصبح الآن في استطاعته ان يراوغ تيل لكي يكسب أطول وقت ممكن ، عسى أن يحضر نورمان كينت لينقذه من ورطته .

سمع تيل وهو يصدر أوامره بقوله :

ـ انه منطلق بسرعة الابالسة طبعا في سيارة مكشوفة امنعوه من مواصلة السير .. نعم يحسن أن تكونوا مسلحين والأفضل أن تحجزوا كل سيارة تمر ببريتفري

هذه الليلة .

واذا استطعتم القاء القبض عليه .. فابعثوا به الى اسكتلنديارد واتصلوا بي تليفونيا لكي استقبله ..

ووضع تيل السماعة وعاد الى روجر وهو يقول :

ـ والآن يا مستر كونواى .. في أي مكان سجنتم الفتاة ؟

تمهل روجر وقال ببطء :

ـ انها سجينة في منزل فوق تل ..

ـ ولكن أين هذا المنزل .. وأين هذا التل ؟ في انجلترا أو في ايرلندا .. أو ..

ـ جاء في الرسالة انه ..

وهنا رن الجرس .. فنظر تيل الى الباب .. ثم تحول بحدة . وسأل روجر :

هل تعرف من القادم ؟

ـ كلا .. أنا خالي الذهن .. وليست عندي أية فكرة عن هذا الزائر الجديد .

ودق الجرس مرة أخرى . فوثب قلب روجر بين ضلوعه ، ولكنه استطاع أن يسيطر على عواطفه . وأن يتظاهر بقلة الاكتراث .

وحملق تيل في وجهه . وانخدع بمظهره .. بدليل انه نهض واقفا على الفور وقصد الى الباب .

* * *

علم روجر أن القادم لا يمكن أن يكون شخصا آخر غير نورمان وشعر هرمان بذلك أيضا . ولكن روجر لم ينتظر

اليه .. ولم يشجع فيه هذا الشعور .

ولعل هرمان احس بحرج مركزه بعد الحقائق التى ذكرها روجر . ولعله امل ان يكون مصيره بين ايدى خصومه غير الرسميين افضل من مصيره بين ايدى رجال البوليس .

مهما يكن من امر فانه لزم الصمت والسكون .

* * *

فتح تيل الباب دون ان يخرج يده من جيبه . وتردد نورمان لحظة ثم دخل .

صعد تيل بعينيه ثم سأل ببساطة :

— هل انت مستر تمبلار ؟

فكتم تيل ضحكة اوشكت ان تفلت من بين شفتيه واجاب :

— كلا انا لست مستر تمبلار .

— هل مستر تمبلار هنا ؟

— كلا .. انه ليس هنا الآن .

— يا الهى .. اليس فى استطاعتك انت ان تفعل شيئا . اننى لم ار مستر تمبلار قط فى حياتى . ولكن حدث ان جاءتنى الآن رسالة عجيبة تذكرت قبل ان اذهب بها الى البوليس فى ان

فقطب تيل حاجبيه وقال :

— ربما استطعت ان اقدم لك مساعدتى . تفضل بالدخول .

فدخل نورمان بغير تردد واولاه تيل ظهره وراح يوصد الباب وهنا لاحت من نورمان التفاتة . فرأى على الجدار

مجموعة غريبة من جميع انواع الاسلحة .. فمد يده بسرعة واختلس خنجرا .

الفصل الثالث عشر

الحصار

منزل فوق تل بالقرب من قرية «ايبرز» .

هذا كل ما هناك ..

ولكن اين هذا التل .. وما موقعه من القرية ؟ وكيف يمكن الوصول اليه فى جوف الظلام ؟

اسئلة خطرت للقديس عندما اقترب من القرية ؟ ولم يكن قد فكر فيها قبلا .

اوقف السيارة خارج القرية واجال الطرف حوله .

لم ير غير المنازل النائمة . والاشجار التى تحيط ببعضها .. والحقول التى تترامى حول القرية .

اوشك اليأس ان يتطرق الى قلبه حين راى نجاة على ضوء سيارته رجلا يجتاز الطريق .

كان القديس يعرف طباع اهل القرى .. وحرصهم على ان يأووا الى بيوتهم فى ساعة مبكرة .. ولذا كان هذا الرجل فى نظره اشبه بلقطة ثمينة . اقترب منه وحياه .. وسأله :

— هل تعرف المنزل القائم فوق التل ؟

فاجابه الرجل على الفور :

— آه .. طبعا .

وهنا ادرك القديس ان (المنزل القائم فوق التل) هو سنة اشتهر بها المنزل المذكور . حتى اصبحت علما

عليـه .

اجابه الرجل :

اسلك هـذا الطريق الى الكنيسـة ثم انحرف الى اليمين . فتجد المنزل فى مواجهتك .

فشكره القديس .. وقصـد الى الكنيسـة سـيرا على قدميه .. حتى لا يكون صـوت محرك السيارة سببا فى لفت انظار اهل المنزل اليـه .

وجد المنزل حيث وصـفه الرجل .. فدار حـوله .. كان محوطا بسـياج مرتفع من العوسـج . وهـو يتألف من طابقين .

دس يديه فى جيوبه واخذ يدور حول المنزل .

ترى فى اى مكان منه سجنت باتريشـيا ؟

راى النور ينبعث من نافذتين .. احداهما فى الطابق الأرضى والأخرى فوقهـا . فى الطابق الاول .. وترجح لديه ان باتريشـيا لابد قـد وضعت فى احـدى هـاتين الغرفتـين .

اقترب من شجيرات العوسـج .. واطل فوقهـا . فرأى من خـلال النـافذة المضاءة فى الطـابق الأرضى طاولة صغيرة قد دار بهـا اربعة رجـال .. فابتسم وقال لنفسه :

ـ هؤلاء هم حراسـها .. اذن لابد انهـا فى غرفة الطابق الاول ..

ومعقول أن يكون الحراس فى الطابق الارضى لمنع كائن من كان من الوصـول الى السجينة .

وارسـل بصره الى الغرفة التى توهم وجود باتريشـيا فيها .. ولكنه لم ير فيهـا شبحا .. ولم يسمع صـوتا او حركة تدل على انهـا مأهولة .

نعم . لم ير غير ذلك الضـوء الهـادىء السـاكن .

فكر .. وتردد .. ثم وجـد ان المحـاولة لا تكلفه شيئا .. وانهـا ستؤدى الى احد أمرين . اما اتصاله بباتريشـيا .. واما ايقـاع القلق والذعـر فى قلوب حراسـها .

اخرج من جيبه ورقة وكتب عليهـا :

« اننى هنـا .. احـدثى ضـجة تحـول عنى انتبـاه حراسـك .. سـاكون عندك بعد قليل » .

« القديس »



ولف الورقـة حول حجر صغير .. وربطهـا بقطعة من منديله .. ثم تنـاول بعض الحصى .. وقذف بهـا النافذة .. فاصابت احداها الزجـاج . واحدثت صـوتا خافتـا . ولكنه مسموع . انتظر بقلق . ولم يطل انتظاره .. فقد راى على الاثر شبح باتريشيا وهى تقترب من النـافذة بخفـة .. ثم رآها تفتح زجـاج النـافذة وتطل من بين القضـبان الحديدية وعندئذ رفع الحجر الذى لف به الرسـالة . وقذفه بقوة .. فمر بالقرب من راس باتريشـيا وسـقط فى أرض الغرفـة .

ونظرت باتريشـيا خلفهـا .. ثم غابت فى الغرفة .. وعادت بعد لحظة . وقذفت بالحجر من بين القضـبان .

سقط الحجر بين الحشـائش . فبحث عنه القديس حتى وجـده ووجـد الرسـالة التى كتبها لا تزال ملفوفة حوله فبسطها بين اصـابعه وقرأ فى ظاهرها هذه الكلمات :

« هنـا ستة رجـال . اسأل الله لك التوفيق »

باتريشيا

فنظر اليهـا . ولوح بمنديله . فابتسمت او خيل اليه

انهـا تبتسم .. ثم اغلقت زجاج النـافذة وغـابت عن بصره .

* * *

وقف القديس مفكرا .

يجب ان يضـع خطة للهجوم . وان ينفـذ هذه الخطـة باسرع ما يمكن . لان ماريوس ورجـاله سوف يلحقون به متى تم لهم اصـلاح سـيارتهم . واصـلاح السيارة ربما لا يستغرق دقائق معـدودة .

وانه لا يزال يفكر . اذ به يسـمع صراخ امراة تستغيث .

عرف صوت باتريشـيا . ووثب قلبه فى صدره .

ترى هل صرخت متعمـدة لتلفت عنـه انظار حراسـها كما امرها . او انهـا تستغيث حقـا من خطر يهددهـا ؟ !

حـار فى امره .

ولكن الاسـتغاثة ما لبثت أن تكررت . وكان صـوت باتريشـيا فى هـذه المرة مكتوما متحشرجـا . كصـوت المختنق . فادرك ان هناك من يحـاول منعها من الاستغاثة .

اولاه الشك قوة جنونية فوق قوته الطبيعية . فشرع فى الحال فى انفاذ الخطـة السريعة الجريئة التى تفتق عنها ذهنـه .

شهر مسدسـه فى يده .. ووثب فوق سـور الموسـج .. واستمر يعدو حتى بلغ الى النـافذة التى راى فيها الرجال الاربعـة .. فهشم زجاجهـا بمقبض مسـدسه ووثب الى الداخـل .

ولا شك ان الرجـال الاربعة لم يتاهبوا لمثل هذه المفاجاة الغريبة لانهم وقفوا مذعورين . وتناثروا فى انحـاء الغرفة .

وتعثر احدهم فسـقط على الارض .

وكان الرجل الذى سقط هو أول الضحايا .. لان القديس لم يمهله بل عاجله بضربة شديدة من مقبض المسـدس ففقد رشـده .

وتحول القديس لمواجهة خصـومه الثلاثة . وكانوا قـد استعادوا شجاعتهم ورباطة جأشهم واخـذوا يدورون حول الجـدران استعدادا لمحـاصرته .. والانقضاض عليه .

وادرك القديس غـايتهم فاطلق رصـاصة على اضخمهم جسما . واقواهم سـاعدا ، واصابت الرصـاصة ساعد الرجل واعجزته عن الحركة .

كان القديس يهـاجم ويطلق الرصـاص ، لا ليقتل وانما ليزيل من طريقـه أولئك الذين يحـولون بينه وبين انقاذ باتريشـيا .

وهجم الرجلان الاخران على القديس . فصوب المسدس مرة اخرى ، واطلقه .

ولكن الرصـاصة لم تنطلق ، لان المسدس كان خلوا من الرصـاص . فقذف بالمسـدس فى وجه احد الرجلين .. وانقض فى اثره واعمل قبضتيه الفولاذيتين فى فك الرجل .

وفى هذه اللحظة .. فتح باب الغرفـة .. ودخل منـه رجل آخر .. ووقف القديس وهو يلهث من التعب .

شـعر للمرة الاولى .. وفى هذا الموقف الحرج بالعجز والضعف من تأثير ما نزف من دمه بعد المعركة الاولى .

هجم عليه الرجلان .. ولكمـه احدهمـا لكمة اصابت وجهه واخرى اصابت كتفه .. وجعلت الدم ينزف من جرحه من جديد .

اظلمت الدنيـا فى عينيه فجأة . ورقصت الكائنات امامه فتراجع وهو يترنح الى ان التصق بالجدار .

تلك كانت النهاية بغير شك .

ولكن الحظ الذى حالفه طيلة حياته لم يتخل عنه هذه المرة كذلك فقد حدث فى هذه اللحظة ان سمع القديس ما لم يسمعه الرجلان .

سمع صوت محرك سيارة تقترب .. فرفع احدى يديه .. بحركة لها معناها وقال بصوت لاهث :

ــ صبرا لقد جاء زعيمكم ماريوس .. والرجل يهمه ان يتحدث الى ..

فاصاخ الرجلان .. ولما سمعا صوت محرك السيارة .. حولا وجهيهما شطر النافذة .

وكانت تلك هى الفرصة التى يتمناها القديس .. اذ ما كاد اهتمام الرجلين يتحول عنه .. حتى وثب الى الامام .. ومرق من بينهما كالسهم .. وانطلق من باب الغرفة .

راى السلم .. فأخذ يرقاه بسرعة .. ووجد نفسه فى الطابق الاول امام دهليز تطل عليه طائفة من الغرف .

فى اية غرفة توجد باتريشيا .

راى رجلا ــ وهو البائس ــ واقفا بباب احدى الغرف .. فترجح لديه فى الحال انها غرفة باتريشيا .. وان هذا الرجل هو الذى كان يمنعها من الاستغاثة .

وثب عليه .. وشعر الرجل بالخطر .. فتراجع الى الوراء .. واراد ان يغلق الباب .

ولكنه كان بطىء الحركة . او قل ان القديس كان سريعا جدا .

اغلق الباب فعلا . ولكن بعد ان دخل القديس الغرفة .



كان اول ما فعله القديس بعد ان دخل الغرفة انه اغلق بابها بالمفتاح .. ثم نظر حوله نظرة سريعة شاملة .. وراى كل ما يهمه ان يراه .

راى باتريشيا مشدودة الوثاق الى فراشها .. وراى الرجل يستل خنجرا ..

شعر القديس بان المعركة قد دخلت فى دورها النهائى الحاسم .. وان حياته ــ لا حياة باتريشيا وحدها ــ اصبحت فى خطر . فوثب على الرجل . وامسك ساعده باصابعه الفولاذية .. وضغط عليه .. وضغط بشدة ..

فصاح الرجل من الالم .. وسقط الخنجر من يده .

كان الرجل قوى العضلات .. ولكن قوته لم تكن تذكر فى شىء بالقياس الى قوة القديس وهو يشعر بان حياته رهن بانتصاره .

امسك القديس بخصمه . وقذف به نحو الباب .. فسقط الرجل .

وتحول القديس الى دولاب للملابس .. فالقاه على الارض ودفعه نحو الباب فى ذات اللحظة التى هم فيها الرجل بالنهوض وكانت النتيجة ان الرجل حصر بين الباب والدولاب .

وهنا سمع القديس وقع اقدام واصوات ساخطة خارج الغرفة .. فضحك ..

حمل احدى الموائد ووضعها فوق الدولاب . وما زال يحصن الدولاب ويكدس الاثاث خلفه حتى اطمأن الى ان بعض الوقت لابد ان يمضى قبل ان يتمكن اعوان ماريوس من اقتحام الغرفة .

كان يعلم ان عمله هذا لا يمنع النتيجة المحتومة . ولكنه يؤجلها الى حين .. ومن يدرى . فقد يهديه تفكيره الى

وسيلة للنجـاة قبل أن يحطم أعداؤه باب الغرفة .

* * *

التقط الخنجر الذى سـقط من يد الرجـل . وقطع به وثاق باتريشيا ورفع الكمامة التى تكتم أنفاسـهـا .

سألهـا فى قلق :

ــ هل أصـابك منهم أذى ؟

ــ كلا .. كلا . شـكرا لك يا سيمون . انك جئت فى الوقت المناسب .

فجلس القديس على حـافة الفراش وهو يلهث .. ومر بيده فوق جبينه وأغمض عينيه حتى مرت نوبة الضعف التى أصابته .

قالت باتريشـيا فى جزع :

ــ يا الهى .. أنت جريح .

كان يعلم أنه جريح . وأن الدم الذى نزف منه قد أضعفه .. وأوشك أن يرجح كفة خصـومه على كفته ..

ولكنه لم يشـأ أن يزعجهـا فابتسم بلطف . وقال بصوت هـادىء :

ــ كلا .. انه خدش بسـيط .

الفصـل الرابـع عشر

النجـدة

ساد الصمت بينهما لحظة .. الى أن سمع القديس طرقة شديدا على البـاب فقـال :

ــ ها قد بدأ الهجوم الأخير . ومن حسن الحظ ان الباب من طراز الأبواب العتيقة المتينة . ولن يتيسر لهم اقتحامه الا اذا حطموه بالفؤوس .. ولكن ذلك لا يمنعنـا من تحصينه كمـا يجب .

وجمع ما وصلت اليه يده من قطع الأثاث .. وكدس ذلك كله وراء البـاب . ثم قال :

ــ أعتقد ان لدينـا الآن فسحة من الوقت للتفكير والبحث عن وسـيلة للنجـاة .

فأجالت باتريشـيا البصر حولهـا .. ثم نظرت اليه كأنها تقول :

ــ وأين السبيل الى النجـاة ؟

وفهم القديس معنى نظرتهـا . فنهض الى النـافذة .. وتفحصـها .

وكانت القضبان الحديدية متينة .. ومثبتة فى الجـدران بطريقة تجعـل من المستحيل انتزاعهـا دون الاستعانة بالأدوات الضرورية .

هز القديس كتفيه . ونظر الى البـاب .

كانت الضجة قد هبطت فجـأة . وسـاد السـكون فى الخـارج . فأرهف القديس أذنيه . وسـمع صـوتا عرف صـاحبه فى الحـال .

صـاح صـوت مرتفع :

ــ آه .. أهذا أنت يا عزيزى ماريوس .. كيف حالك أيهـا الحمل الوديع ؟

فأجاب ماريوس بالانجليزية :

ــ لو كنت فى موضـعك لتجنبت الوقوف أمام البـاب يا تمبـلار .. لأننى سأطلق الرصـاص على القفل .

فضحك القديس وأجـاب :

— لا يهمني ان تسلط مدافعك على الغرفة . ولكنى احب فقط ان اذكرك بان احد رجالك محصور هنا لصق الباب . وان اول رصاصة تطلقها ستصيب منه مقتلا .. ومن سوء الحظ انه ليس فى استطاعتى انقاذه من هذا الموقف الحرج .. اللهم الا اذا هدمت تحصيناتى راسا على عقب .

فاجابه ماريوس :

— ذلك من سوء حظ الرجل حقا . ولكن ما الحيلة .. فتنهد الرجل التعس . واغمض عينيه .

اما القديس . فانه احاط باتريشيا بساعده .. وانتحى بها احد الاركان .

وعندئذ اطلق ماريوس مسدسه . فنظر القديس الى الرجل المحصور لصق الباب . وراى وجهه يتقلص من تاثير الالم . ثم راى راسه يسقط فوق صدره ويرتطم بجدار الدولاب .

عض القديس على شفته .

لم تكن هذه الجريمة الوحشية تدل على منتهى القساوة فحسب . بل كانت تدل كذلك على ان ماريوس مصمم على الوصول الى غرضه ولو كلفه ذلك ان يسير على جثث الادميين .

ونظر القديس حوله مرة اخرى .

لم يكن هناك سبيل الى الفرار . فهو فى تلك الغرفة اشبه بالفار فى المصيدة .

نعم . لا سبيل للنجاة . الا اذا جاءت نجدة من الخارج .

وهنا جرى ذهنه الى روجر .. بيد ان وجود ماريوس فى الخارج كان وحده كافيا لاقناعه بوجوب اقصاء

روجر من ذهنه .

وسالته باتريشيا :

— كيف استطعت الوصول الى هنا ؟

ووجد القديس انه لا يستطيع ان يفعل شيئا ، فراح يسرد على الفتاة ما حدث ثم سالها بدوره :

— وانت .. كيف وقعت فى قبضة اولئك الاشقياء واستهدفت لهذا الخطر ؟

فاجابت :

— حدث ذلك بكل سهولة ، لاننى كنت خالية الذهن ، لا اتوقع شيئا مما يدبره خصومك .

كان القطار خلوا تقريبا من المسافرين .. وكنت وحدى فى احدى المركبات .. فتقدم الى رجل عادى المنظر .. لا تدعو حركاته الى الشك فى امره .. وطلب منى عود ثقاب ثم قدم لى لفافة تبغ ، فقبلتها .

نعم ، كان من الجهل والحماقة ان اتقبل تلك اللفافة وان ادخنها .. ولكنى كنت — كما قلت لك — خالية الذهن من كل شيء .. ولم يكن ثمة ما يدعونى للشك فى امر الرجل .

فهز القديس راسه وقال :

— وكانت النتيجة انك فقدت رشدك بعد تدخين التبغ الذى خلطت به بعض المواد المخدرة .. وعندما استيقظت وجدت نفسك فى سيارة تنهب بك الارض نهبا ؟

— ذلك ما حدث تماما .. فقد وجدت نفسى موثقة اليدين والقدمين ، مكمومة الفم ، والسيارة منطلقة بى فى مناطق لا اعرفها . وجيء بى توا الى هنا .

وساد الصمت مرة اخرى .

وكان القديس طول الوقت يرقب الباب باهتمام وقلق

.. فلاحظ ان ماريوس ورجــاله قد كفوا فجــاة عن محاولة تحطيم البــاب .. ثم سمع صــوت ماريوس وهو يتـكلم بتلك اللغة الاجنبية وادرك انه يصــدر الى رجــاله اوامر جــديدة .

وبعد لحظة .. اهتز البــاب اهتزازا عنيفا بتأثير صدمة قوية .. فقطب القديس حاجبيه .

سألته باتريشــيا :

ــ ماذا حدث ؟

فاجاب بهــدوء . وهو يتظاهر بقلة الاكتراث :

ــ انهم جاءوا بفؤوس ضخمة لتحطيم البــاب .

واهتز البــاب بعنف مرة اخــرى .. ثم مرة ثالثــة .. وتطــايرت قطع الخشب .. وحــدثت فى البــاب ثغــرة واســعة .

لم تبق الان ســوى بضع دقــائق .. وينتهى كل شيء .

نظر القديس الى باتريشــيا .. ونظرت اليه الفتــاة .

قال بصوت خافت :

ــ يؤسفنى أننى كنت سببا فى توريطك فى هذا المــازق

وفهمت باتريشــيا غرضــه .. والمعنى الذى يرمى اليه .. ولكنهــا لم تجــزع .. بل ابتسمت ابتســامة مشجعة .. وقالت :

ــ بحسبى ان اموت معك .

فضمها الى صــدره واجاب :

ــ انك فتــاة باســلة .. ولكنى ســأقاوم حتى الرمق الاخــير .

* * *

وحدثت فى هــذه اللحظة ثغرة فى البــاب تكفى لتسديد المسدس واصــابة الهدف .. وسمع القديس ماريوس وهو يقول بهدوء وبرود :

ــ انصح لك بان تستسلم يا تمبلار .. واذا اصررت ســاضطر الى قتلك .

واراد القديس ان يلعب باخر ورقة فى جعبته . فقــال :

ــ ان قتلى لا يفيــدك شيئا ايهــا الصديق .. بل على العكس .. انه يقطع عليــك كل ســبيل للوصــول الى نارجــان .

ــ لا يزال صديقك كونواى على قيد الحيــاة .. ولا يزال فى فمــه لســان يتكلم .

ــ انك تخدع نفســك اذا توهمت انه يرشدك الى مكان نارجــان .

ــ انتى اعرف كيف احمــله على الكلام يا تمبلار .. وعندى من وســائل الارغــام اكثر مما عنــدك .. وبهــذه المناسبة .. هل نسيت ان موتك يحرم الانسة باتريشيا من كل حمــاية .

ــ كلا .. لم انس ذلك .. ولم انس ايضا ان استسلامى يحرمها من كل حمــاية .. فخسارتها واحدة فى الحالتين .. ولكنك تخــدع نفســك اذا توهمت ان فى استطاعتك حملها على الكلام .. لانهــا تملك الآن خنجرا .. واكبر ظنى انها لن تستسلم وفيهــا رمق من الحيــاة .

فقال ماريوس فى تهكم :

ــ ربما لا اقتلك .. فاكتفى باطلاق رصــاصة على كبدك تترجونى باى ثمن ان اجهز عليك واريحــك من الالم .. ويكون الثمن الذى اطلبه هو نارجــان .

فعض القديس شــفته ..

تذكر انه قال لماريوس مثل هذا الكلام منذ بضع ساعات .

اجاب :

ــ انني لا استسلم ابدا .

ــ على رسلك اذن .

واصدر الى رجاله امرا .. فهبطت الفؤوس على الباب .. واتسعت الثغرة ..

وهنا لم يبق على القديس وباتريشيا الا ان يلتصقا بالجدار الذي يقع فيه الباب .. حتى لا تصيبهما رصاصات ماريوس .

على انه كان لا يزال هناك سبيل لكسب بعض الوقت .

مد القديس يده بحذر . وراح يكدس الاثاث أمام الثغرة التى احدثتها الفؤوس . وهنا سمع ماريوس يسأله :

ــ ماذا تفعل ايها الأحمق ؟

فأجاب القديس وهو يضحك :

ــ انني اقوى حصونى . لاضاعف متاعبك . سوف يتعذر عليك الدخول ما لم تنتزع الباب انتزاعا .

ــ انت مخلوق جاهل .

وعادت الفؤوس تعمل عملها فى الباب .. واستمر القديس يكدس الاثاث وراء الثغرة .

قالت له باتريشيا : وما الفائدة يا سيمون ؟

فأجاب :

ــ **لا اعلم . ولكن يجب ان نقاوم .**

ورأت فى عينيه نظرة يأس ، فأطرقت برأسها لحظة . ثم انطلقت نحو النافذة . وراحت تصرخ بكل قوتها :

ــ النجدة . النجدة ..

فهتف القديس فى غضب :

ــ ماذا تفعلين ايتها الحمقاء . ان استغاثتك تضحكهم منا .

وشعر بان كبرياءه قد خدشت كما لم تخدش قبلا فى احرج المواقف واخطر المغامرات .

ولكن باتريشيا لم تعبأ به وعادت الى الصياح :

ــ النجدة . النجدة .

فصرخ بها :

ــ اصمتى .

ــ لماذا اصمت .. لماذا لا اطلب النجدة ممن جاءوا الآن .. انظر ..

واشارت باصبعها من النافذة الى سيارة وقفت فى تلك اللحظة بباب الحديقة ..

وكان دوى الفؤوس على الباب قد فوت على القديس سماع محرك السيارة .

صرخت باتريشيا مرة اخرى :

ــ النجدة . النجدة .

وعندئذ وثب من السيارة رجل طويل القامة . ووضع يده فوق فمه ، وهتف بأعلى صوته :

ــ هأنذا يا باتريشيا ، آلو سيمون .

فصاح القديس :

ــ نورمان ، نورمان ، ايها الملاك الحارس .

ثم تذكر حقيقة الموقف وصاح :

ــ كن على حذر يا نورمان ، انهم مسلحون

فأجابه نورمان :

ــ كن مطمئنا ، نحن كذلك مسلحون ، وقد احاط المفتش تيل ورجاله بالمنزل من جميع نواحيه ، وسوف نأخذهم كما تؤخذ الفئران فى المصيدة .

ليهتف باتريشيا :
حمدا لله . لقد حدثت المعجزة .
وابتسم القديس ، وجفف العرق المتصبب على جبينه .

الفصل الخامس عشر

الفرار

دوى طلق نارى ، ومرت الرصاصة بين قطع الأثاث التى كدسها القديس أمام الباب .
واسرع القديس واجتذب باتريشيا الى احد الاركان .
ودوت رصاصة اخرى ، مرت على مقربة من اذن القديس ، وغاصت فى الجدار .
ثم ساد السكون .
واستمر هذا السكون دقيقتين او ثلاث . ثم بدأت الرصاصات تدوى فى حديقة المنزل .
وسمع القديس صوت ماريوس وهو يصدر اوامره .. ثم سمع ضجة اقدام تهرول فى الدهليز . وتهبط السلم بسرعة .
اخذ يرفع قطع الاثاث . واطل برأسه من الثغرة التى احدثتها الفؤوس فى الباب .
قال :
ـ لقد لاذوا بالفرار . لا شك انهم سيحاولون خرق الحصار الذى ضربه تيل ورجاله حول المنزل .
وفتح الباب . وهبط السلم بدوره .
لم يعترضه احد . فدخل اول غرفة صادفته .. وجد انها الغرفة التى وقعت فيها المعركة الأولى بينه وبين رجال ماريوس .

رأى مسدسا على المائدة فتناوله .
كان بغير شك مسدس احد الرجال الذين اصيبوا فى المعركة الأولى واطل القديس من نافذة الغرفة . فلم ير سوى نورمان وروجر وهما يزحفان نحو المنزل من ناحيتين مختلفتين ، والدخان يتصاعد من مسدسيهما .
ثم ابصر برجال ماريوس وقد تبعثروا فى الحديقة ، وراح كل منهم يبحث لنفسه عن مخرج يفلت منه .
ولكنه لم ير المفتش تيل ، ولم ير احدا من رجال البوليس .
لمعت عيناه ، وانفجر ضاحكا .
فهم الخدعة التى تفتق عنها ذهن نورمان ، وجازت على ماريوس ورجاله ، بل وجازت عليه هو نفسه .
لابد أن يكون نورمان وروجر قد نقلا نفسيهما وثبا من هنا وهناك .. لايهام الأشقياء أن هناك قوة تحاصر المنزل .
ولم يكن بوسع ماريوس ورجاله ان يصمدوا لحصار البوليس .. لذلك كان فرارهم بأسرع ما يمكن عملا يدل على الحكمة وبعد النظر .

* * *

رأى القديس رجال ماريوس وهم يلوذون فى سيارته .. فودعهم برصاصة من مسدسه .
وقبل أن يتلاشى دخان الرصاصة .. شعر القديس بفوهة مسدس توضع بين كتفيه .
نظر وراءه وهتف :
ـ أهذا أنت ياروجر !

— نعم ايها الشقى الحسن الحظ .
— قبحك الله .. لقد خشيت ان يقتلوك .
ودخل نورمان فى هذه اللحظة ونظر حوله ثم سأل فى شىء من الجزع :
— اين باتريشيا .
فأجابته بصوتها العذب :
— هاندا ..
ودخلت الغرفة .. وصافحت منقذيها بحرارة .
قال نورمان :
— والآن ما قولك يا سيمون .. هل نطاردهم ؟
ولكن القديس هز راسه وأجاب :
— كلا .. ليس الآن .. هل جاء هوراس معكما ؟
— كلا .. ان حملة الانقاذ تتألف منا فقط .
— انك احسنت صنعا .. كان من الحكمة ان تترك هوراس فى حراسة تارجان .. والآن يجب ان نذهب قبل ان يمتلىء هذا المنزل بالقرويين .
لا غرابة اذا اعتقد اهل القرية ان الحرب قد اعلنت .
فسأله روجر فى شىء من الجزع :
— ماذا ارى على ثوبك ؟ اثر دماء ؟
— لا شىء ..
وتقدمهم نحو السيارة ..
كان يمشى ببطء .. فلحق به روجر ، وسار بجانبه .
وما هى الا لحظة حتى ترنح القديس ، وامسك بساعد روجر فهتف هذا الاخير :
— دعنى افحص اصابتك .
— كلا .. كلا .. ليس الآن .
على ان ضعفه كان يزداد بالتدريج ، فالقى بنفسه على

مقعد السيارة ، واغمض عينيه ، وسمح لنوبة الاغماء ان تمر فى هدوء .
واخيرا فتح عينيه ، وملأ رئتيه بالنسيم العليل .
قال روجر :
— كنت اعتقد انك لا يشق لك غبار فى قيادة السيارات .. ولكنى وجدت الليلة ان نورمان يصلح لأن يكون استاذك .
فابتسم القديس واجاب :
— احقا تقول ؟ ومن جاء بهذه السيارة ؟
— انه وجد نفسه بخصوص الجناحين فى (ميدنهيد) .. فلا قطار ولا سيارة ، ولكنه عثر بهذه السيارة امام احد المنازل فانطلق بها دون ان يستأذن صاحبها .
— اسرد على ما حدث بالتفصيل . منذ البداية . كيف تخلص منك اولئك الاشقياء ؟
— الواقع ان هذا الحادث يدعو الى الخجل .. فقد استدرجنى اوتو الى فخ ، احكم الاشقياء وضعه .. وانتهز ماريوس فرصة حديث دار بينى وبين اوتو فضربنى بقدميه .. وهجم على هرمان واوتو فاجهزا على .
ومن ثم اراد ماريوس ان يتصل تليفونيا بهذه القرية .. ولكن المواصلات التليفونية كانت معطلة .. فتحدث مع رقم ٩٩٩٩ وستمنستر واصدر بعض التعليمات .
فابتسم القديس واجاب :
— لقد عرفت نتيجة تعليماته .
قال روجر :
— وانصرف ماريوس واوتو . وبقى هرمان لحراستى . وكنت قبل ذلك قد اتصلت بنورمان تليفونيا . فقال لى انه يفكر فى اللحاق بى . ولكنه لا يجد وسيلة للانتقال .

وحدث أن دق جرس الباب . فحسبت القادم نورمان ولكنى كنت واهما .

كان القادم هو المفتش نيل . وقد عرف نيل كيف يقتنص هرمان فى الوقت المناسب .

وعندما سألنى نيل .. قصصت عليه بعض الحقيقة لغرضين .. أولهما كسب الوقت ، والبقاء فى شارع بروك عسى أن يحضر نورمان ، وثانيهما العمل على انقاذك . وقد طلبت الى نيل أن يتصل برجال البوليس فى (رينتري) لتعويقك عن القاء نفسك فى التهلكة .. فهل اعترضك أحد رجال الشرطة ؟

— نعم .. ولكنى لم أعبأ بهم . ومضيت فى طريقى .

— وقد جاء نورمان فى الوقت المناسب . واستطاع أن يسحق رأس المفتش نيل بمقبض خنجر انتزعه من الجدار . وتركنا هرمان ونيل فى منزل شارع بروك وهما مشدودا الوثاق .. وكان ..

فقاطعه القديس :

— صبرا لحظة . قلت انك اتصلت بنورمان تليفونيا .

— نعم .

— هل حدث ذلك أثناء وجود ماريوس ؟

— نعم .

— هل سمعك . عندما ذكرت رقم التليفون ؟

— أظن أنه سمع .. لابد أنه سمع . ولكن لا تنس ...

فاعتدل القديس فى جلسته وقال :

— لا تقل أن ادارة التليفون تمتنع عادة من الافضاء بأسماء المشتركين وعناوينهم .. ليس أيسر على أى مغفل من أن يذكر كلمة (ميدنهيد) .

ففتح روجر فمه وعقدت الحيرة والدهشة لسانه .

أدرك الغلطة التى تورط فيها . وهالته فظاعتها . غمغم بلسان متلعثم :

الحق معك يا سيمون . هذه غلطة أستحق عليها أن تعرك أذنى .

فربت القديس على كتفه وقال وهو يضحك :

— لا بأس يا روجر . انك تورطت فى هذه الغلطة بحسن نية .. لم يخطر لك ببال أنهم يستطيعون الافلات منك .

فقال روجر بمرارة :

— انك تلتمس لى الاعذار يا سيمون . ولكنى لا أجد لنفسى عذرا .

— لا تحزن على ما فات يا روجر .. بحسبنا أننا نستمتع الآن بالحياة والحرية .

فصمت روجر .. واستمرت السيارة تنهب الأرض نهبا ..

أشعل القديس لفافة تبغ .. وراح يدخن فى هدوء .. ثم أغمض عينيه . ولكنه لم ينم .

كلفته حوادث اليومين الأخيرين كثيرا من الجهود العقلية والجثمانية . وكان فى حاجة شديدة الى الراحة .. ولكن حاجته الى التفكير كانت أشد .

فكر .. وخرج من التفكير العميق بنتيجة .. هى أن منزله فى (ميدنهيد) لم يعد ملجأ مأمونا .

سيكون هذا المنزل هدفا لهجمات ماريوس المقبلة .

انه سمع روجر عندما اتصل تليفونيا بنورمان كينث فى (ميدنهيد) و (ميدنهيد) قرية صغيرة .. منازلها معدودة وليس أيسر على ماريوس من العثور بالمنزل الذى سجن فيه الأستاذ فارجان .

وماريوس يعتقد الآن أن البوليس فى أثره .. فهو أقل

لن يبطىء فى القيام بهجومه الاخير .. قبل ان تتغلب عليه القوات البوليسية ..

يضاف الى ذلك ان المفتش نيل لن يعجز عن الخروج من ورطته . ومغادرة منزل شارع بروك . وهو كذلك لن يعدم وسيلة لحمل (هرمان) على الكلام وذكر الحقائق بالتفصيل .. وقد كان هرمان احد الذين سمعوا روجر وهو يتحدث الى تورمان كينت فى (ميدنهيد) .

واذن لا مفر من أن تصبح (ميدنهيد) ميدانا لنضال جديد .. ومركزا لنشاط ماريوس ورجال البوليس .

* * *

فكر القديس فى كل ذلك .. وافضى الى روجر بنتيجة تفكيره ..

ذكر له الاسباب والنتائج بصوت خافت .. وحرص اشد الحرص على الا تسمع باتريشيا حديثه . حتى لا يستولى عليها الخوف والجزع .

قال روجر :

— يجب اذن ان نرحل عن (ميدنهيد) .

فاطرق القديس برأسه ولم يجب .

الفصل السادس عشر

جنون العلماء

وصلت السيارة الى (ميدنهيد) عند بزوغ الشمس .. وكان اول ما فعله الاصدقاء الاربعة انهم التهموا كل

ما فى المنزل من طعام .. ثم قرر القديس انهم يربحون كثيرا ولا يخسرون شيئا اذا ناموا بضع ساعات .

وقد نهض القديس حول الساعة الثانية فاذا هو كالعهد به نشيط متحفز للعمل . وكان اول ما فكر فيه هو البت فى مصير الاستاذ مارجان .. قبل الجلاء عن « ميدنهيد » .

قال محدثا صديقيه :

— ليس فى استطاعتنا ان نحتفظ به الى الأبد .. سيما وقد اصبحنا مطاردين من كل ناحية .. اللهم الا اذا شئنا ان نذهب به الى بقعة مهجورة . حيث نعيش عيشة الرهبان فى الأديرة .

فقال تورمان كينت :

— انني تحدثت اليه ليلة امس .. وفى اعتقادى ان الرجل مجنون . فهو يزعم انه حقيق بان ينال شهرة عالمية من اجل اختراعه . وانه مصمم على الاستمتاع بهذه الشهرة الى ابعد حد .. وهو ناقم علينا لاننا اعتقلناه ومنعناه من استئناف مفاوضاته مع الحكومة .. ولو قد استمرت هذه المفاوضات لافردت الجرائد صفحاتها الأولى لنشر صورته . والاشادة بمجده وعلمه . وقد قال لى انه اشترط على الحكومة ضمنا ان تمنحه لقبا من القاب النبل .. عدا الثمن الذى ستدفعه اليه .. فالرجل كما ترى مجنون شهرة .

فاطرق القديس برأسه وقال :

— سأتحدث اليه بنفسي واحاول ان اقنعه .

وقصد الى حيث كان مارجان .. ورافقه خادمه الأمين هوراس .

كان يرجو أن ينجح حيث فشل تورمان .

قال محدثنا فارجان :

ــ هل لك فى لفافة تبغ ؟

ــ ولكن الرجل قلب شفته احتقارا ورفض اللفافة .. واجابه بقوله :

ــ هل لى ان اسألك الى متى ستستمر هذه المهزلة ؟ انكم حجزتمونى هنا اكثر مما يجب .. فلماذا ؟ ماذا تبتغون منى ؟

فاجابه القديس :

ــ اعتقد ان صديقى تحدث اليك امس فى هذا .

ــ انه قال لى كلاما يدل على جهله وحمقه .

فاقترب منه القديس خطوة وقال :

ــ اريد ان اقول لك كلاما بعيدا عن الجهالة والحمق .. لقد ناشدك صديقى ان تعدم اختراعك .. وتعدل عن استثماره وبيعه الى هذه الدولة او تلك .. وقد جئتك الآن لاضم صوتى الى صوته .. فانا اهيب بك باسم الانسانية .. وباسم السلام العالمى .. وباسم الاطفال الذين يتهددهم الحروب ان تنسى هذا الاختراع الجهنمى .. وتنسى انك اخترعته .

فنظر اليه فارجان بحدة وقال :

ــ لقد اسمعتمونى مثل هذا الكلام قبل الآن .. ومن تحصيل الحاصل ان ترددوه .. لانه كلام مضحك لم اسمع اسخف منه طوال حياتى .

ذلك هو جوابى على اقتراحكم ورجائكم .

فقال القديس فى هدوء :

ــ اذن فلتسمح لى ان اقول لك اننى لم اقابل فى حياتى رجلا وقف اسوأ من موقفك هذا .. حتى يخيل الى اننى امام مخلوق معتوه .. او طفل يلعب بالنار .

فرفع فارجان راسه بكبرياء وتحد . وقال :

ــ سيدى .

ولكن القديس قطع احتجاجه بقوله :

ــ يا استاذ فارجان .. اننى لم اجىء بك الى هنا لكى اتسلى باهانتك . فارجوك ان تنسى جميع الظروف التى احاطت بك فى اليومين الاخيرين وان تصغى الى . كما يصغى الرجل العادى ، الى رجل اخر مثله .

انك ابتكرت اختراعا من اعجب الاختراعات التى يمكن ان يقدمها العلم لهذا العالم المتوجع . الذى لا يزال يئن من فظائع الحرب العلمية وفى نيتك ان تدفع بهذا الاختراع الى ايد لن تردد فى استخدامه فهل لديك ما يبرر سلوكك هذا ؟

ــ ان العلم ليس بحاجة الى مبررات .

ــ ان ارض فرنسا تضم ملايين من الجثث . كان يمكن ان يكون اصحابها احياء الآن .

والآن .

جميع هؤلاء الملايين قد قتلوا فى الحرب . ولو قد وقعت الحرب قبل ان يتخذ العلم وسيلة للقتل واراقة الدماء . لما اربى عدد القتلى على بضعة آلاف فقط . ولذهب هؤلاء الالاف . كما يذهب الابطال . لا كما تذبح الاغنام . فهل لدى العلم ما يبرر مثل هذا العبث بارواح البشر ؟ .

ــ هل تظن ان فى استطاعتك منع الحروب ؟

ــ كلا . ليس ذلك فى استطاعتى او استطاعة اى انسان آخر .. على ان ذلك ليس موضع الجدل والمناقشة . فاسمع الى مرة اخرى .

يوجد فى انجلترا آلاف من العميان ومشوهى الحرب .

ممن كان يجب أن يكونوا الآن أصحاء .
ويوجد مثل هؤلاء فى فرنسا وبلجيكا والمانيا والنمسا .
هؤلاء الآلاف قد خلقها الله فى أحسن صورة . وزودها بالجسم الجميل .. والقوة النشطة . والعقل المفكر . ولكن جاء العلم .. العلم الذى أنت أحد أفذاذه فحطم هذه الأجسام .. وأحالها الى شىء مخيف يرتجف الانسان فزعا اذا رآها .
فهل لدى العلم ما يبرر ذلك ؟
— ذلك ليس من شأنى .
— ولكنك جعلت ذلك من شأنك حين وضعت نفسك بين زمرة العلماء الذين يعملون على تشويه فعل الخالق . وابادة النوع الانسانى .
وصمت القديس لحظة ثم استطرد بصوت هادىء :
— توجد علوم نافعة . وعلوم ضارة ، ومنافع الأولى لا تبرر مساوىء الثانية . واذا كان لابد للمدنية من العلوم . فلماذا لا تأخذ بالعلوم النافعة دون العلوم الضارة المخربة الهادمة للانسانية والمدنية ؟
لماذا لا تأخذ بالعلوم التى تحفظ للرجال صفة الرجولة حتى فى ميادين القتال ؟!
واذا كان لابد من الحرب . فلماذا لا تكون الحروب شريفة باسلة يقاتل فيها الجنود باسلحة الرجال . لا باسلحة الأبالسة ؟!
ولماذا لا يقتل الجنود فى ميادين القتال كما يقتل الأبطال البواسل . لا كما تهلك الوحوش فى الغابات ؟!
— أنت رجل خيالى عجيب .
— ربما ولكنى مقتنع بصحة كلامى . وواثق أن الرجال

اذا لم يفكروا لاعتبارات الرحمة والانسانية . عاش البشر فى سلام . وعادت الى القلوب الطمأنينة . وسار الانسان نحو المدنية الكاملة الصحيحة بخطوات واسعة .
ولكن ذلك لن يكون الا اذا تمسك الرجال الخياليون المثاليون بالمبادىء التى يستهجنها الآخرون أمثالك .
فقال نارجان متهكما :
— أنت اذن آخر الأبطال :
فأجاب القديس ببساطة :
— كلا .. أنا لست آخر الأبطال .. ولست بطلا على الاطلاق . اننى فقط جندى بسيط من جنود الحياة . وقد تورطت فى كثير من الآثام وطوردت كمجرم . وما زلت أطارد ولكنى لم أقتل بريئا قط . وسأحتقر دائما من قتل الأبرياء . ذلك هو المبدأ الذى تدعوه أنت خياليا ولكن ما هو المبدأ الذى تدين به أنت ؟ وما هى الغاية التى تسعى اليها ؟ هل غايتك أن تضع فى يد انجلترا سلاحا يضمن لها المجد والسيطرة على الشعوب ؟
فلمعت عينا نارجان وأجاب :
— اننى لا أعمل لمجد دولة بذاتها .. وانما أعمل للعلم فحسب .. والعلم شىء دولى .. وكل ما هنالك أننى عرضت اختراعى على انجلترا أولا : فاذا كان الانجليز من الغباوة بحيث يرفضون مكافأتى بما أستحق .. فاننى لن أتردد فى عرض اختراعى على دولة أخرى .
واقترب من القديس وفى عينيه نظرة أشعرته بأن حديثه كان صرخة فى واد .
— اننى ظللت أكد وأكدح الأعوام الطويلة .. نعم .. قضيت الأعوام الطويلة فى عمل مستمر .. فماذا أخذت من عملى ؟! لا شىء .. غير بعض الشهادات التى لا تفيد

احدا ولكنى لم انل شرفا او مالا .. فانا فقير .. وقد كنت انكر على نفسى الطعام الشهى .. لادخر المال لهذا الاختراع .. والآن تريدنى على ان اضحى بما قضيت الحياة فى سبيله ؟! تريدنى على ان اهشم اختراعى ارضاء لمبادئك السقيمة ؟!

انت جاهل يا سيدى .. انت مغفل .

ماذا يهمنى ان يموت الملايين من البشر .. ان العالم ليس بحاجة اليهم وليس بحاجة الى امثالك على الاخص ..وليتنى استطيع ان اجعل منك اول الضحايا .

ولمعت عيناه .. والقى بنفسه على القديس كالوحش المجنون .. ولكن هوراس اسرع اليه واحاطه بساعديه ومنعه من الحركة .

قال القديس بهدوء :

— اوصد باب هذه الغرفة جيدا يا هوراس .

فاطاع هوراس . ثم لحق بسيده .

سأله القديس :

— هل حزمت الامتعة واعددت الحقائب ؟

— نعم يا سيدى .

— حسنا .. اشحنها الى باريس .. باسم مسيو (راوول تريمان) وهو الاسم الذى سأذهب به الى فرنسا .

فحك هوراس رأسه وقال بلهجة تنم عن الحيرة :

— هل سنرحل يا سيدى ؟

— فاجاب القديس :

— نعم . قبل ان يعلن البوليس الانجليزى عن مكافأة لمن ياتيه براسى .

— لقد كنت لى نعم السيد يا سيدى .

فتريث القديس قليلا ثم قال :

— هل لديك جواز للسفر يا هوراس ؟

— نعم يا سيدى .

— اذن فى استطاعتك ان تلحق بى اذا شئت .. ساترك لك عنوانى وعليك ان تنبئنى بموعد قدومك لاستقبلك .. واحميك من غانيات باريس اللائى طالما حذرتك امك من الوقوع بين سواعدهن الجميلة .

* * *

ووجد القديس صديقيه فى انتظاره .

سأله روجر :

— ماذا فعلت هل تحدثت الى فارجان ؟

— نعم .

— وماذا قال ؟

— انه ثار وانقض على يريد الفتك بى .. كلا .. لا رجاء فى هذا الرجل . انه مجنون كما قال تورمان .

فاقترب روجر من النافذة .. وارسل بصره نحو النهر . ثم عاد يقول :

— ان المفتش تيل يجد فى اثرنا .. منذ ساعة وهو يجول فى النهر باحد الزوارق البخارية .. وقد رايناه لاول مرة منذ نصف ساعة .

فقال القديس :

— هذا معناه ان تيل استطاع ارغام هرمان على الاعتراف بكل شىء .. وان هرمان تذكر اسم (ميغنهيد) ولكنه لم يتذكر رقم التليفون .. ولهذا جاء تيل يبحث عنا

في (يودنهيد) بصفة عامة .

وانني تلزمنا بساعة او ساعتان على الاقل نستطيع ان نستمتع فيهما بالحرية . اللهم الا اذا استطاع ماريوس ان يسبق نيل الينا .

فقال نورمان :

ـ ولكننا لم نر اثرا لماريوس هذا .

فاجاب القديس :

ـ لكي نعرف خطة العدو .. يجب ان نضع انفسنا موضعه .. ان ماريوس لا يملك التسهيلات ووسائل البحث عنا ومطاردتنا ما يملك المفتش نيل .. وماريوس رجل ذكي . واسع الدهاء .. وهو يعلم ان المفتش نيل يبحث عنا .. فاسرع وسيلة يستطيع الوصول بها الينا الان هي ان يتعقب المفتش نيل .. ولهذا يجب ان نتوقع وجود ماريوس في هذه الناحية .

تساءل نورمان :

ـ ولكن ماذا تستطيع الآن ان تصنع بالاستاذ فارجان ؟

فاجاب القديس :

ـ انه لا يريد الاصغاء الى صوت المنطق والعقل والانسانية .. وقد تحدثت اليه بنفسك .. واذن فلم يبق امامنا سوى وسيلة واحدة . وقد حاولت عبثا ان اجد وسيلة سواها .

وهذه الوسيلة هي اراحة العالم من شرور هذا الرجل بقتله .

والقتل بصفة عامة من الجرائم التي لا اقرها ولا اجد ما يبررها . ولكن لا يجب ان ننسى ان القانون يقتل المجرم الذي يفتك بانسان واحد .. اما فارجان فانه ينوي قتل الملايين .. فهو احق بالقتل من المجرم العادي الذي اقتصر

اذاه على نفس بشرية واحدة .

ولا شك انه من الانصاف ان يضحى شخص واحد .. في سبيل انقاذ الملايين .

فما قولكما ؟

فاجاب نورمان :

ـ هذه مسألة جديرة بالتفكير .

ـ وما رايك انت ياروجر ؟

نفض روجر رماد سيجارته وسأل ببساطة :

ـ من منا يقتله ؟

فنظر القديس الى نورمان ثم الى روجر واجاب :

ـ ان من يقتل فارجان سيكون نصيبه الاعدام شنقا .. وانا على استعداد لأن ..

فقاطعه نورمان فجأة :

ـ عفوا .. لقد نسيت علبة التبغ في غرفتي . سآتي بها .. واعود اليكما .

وغادر الغرفة مسرعا .

كانت تبدو على وجهه علامات التفكير العميق .

اخرج من جيبه علبة التبغ التي زعم انه نسيها . فاشعل لفافة . ثم قصد الى غرفة باتريشيا .

هتفت الفتاة :

ـ الو .. اهذا انت يا نورمان ؟

ـ هل انت على استعداد للرحيل يا باتريشيا ؟

وكانت باتريشيا تمشط شعرها امام المرآة .. فقالت وهي تنظر الى وجهه المفكر في المرآة :

ـ سأكون على استعداد بعد خمس دقائق .. ولكن .. لماذا تنظر الى هكذا يا نورمان ؟

فاجاب نورمان فجأة :

— انت تعلمين انني احبك يا باتريشيا .
فأجابت ضاحكة :
— هذا امر يؤسف له .
فمضى نورمان في حديثه دون ان يعبأ بتهكمها .
— لقد احببتك منذ وقع بصري عليك يا باتريشيا .... ولعل هذه هي اول وآخر مرة استطيع ان اعترف لك فيها بحبي .
وكان صوته غريبا .. فزالت الابتسامة عن شفتي باتريشيا وهتفت :
ماذا تعني يا نورمان ؟ انني لا افهمك .
— يؤسفني ان اكون ازعجتك بهذا الاعتراف يا باتريشيا .. ولكني لن ازعجك بعد الآن .. حتى ولو سمحت لي بذلك .
انا اعلم انك تحبين سيمون وسيمون صديقي .... ولذلك سيكون من دواعي سروري دائما ان اعلم بانني مهدت لكما السبيل الى السعادة لا ينغصها تبكيت الضمير .. او وصمة الجريمة ..
فبارك الله فيك يا باتريشيا .
واقترب منها فجأة .. وطبع على شفتيها قبلة سريعة .. وولى الادبار تاركا الفتاة مذهولة حائرة لا تفهم لهذا الشذوذ العجيب معنى .
ارادت ان تدعوه . لتسأله المزيد من الايضاح ولكنه عاد في اللحظة التالية من تلقاء نفسه .
كان في هذه المرة متقلب السحنة .
وضع اصبعه على شفتيه محذرا . فسألته في همس :
ماذا حدث ؟
فأجاب بصوت خافت ولكنه هادىء :

لقد حانت المعركة الاخيرة .. وحانت فجأة .. وعلى غير انتظار منا .
وقدم اليها مسدسا .. وشهر في يده مسدسا آخر .. ثم امسك بساعدها وقصد الى النافذة .. وهناك اشار الى السيارة التي وضع بها (هوراس) الحقائب وقال :
— متى سمعت ثلاث طلقات نارية متعاقبة . كان معنى ذلك انه يجب عليك الاسراع الى هذه السيارة .
اطلقي الرصاص بغير تردد على كل من يقف في سبيلك
— ولكن .. الى اين انت ذاهب ؟
فأجاب وعلى شفتيه ابتسامة غامضة :
— انا ذاهب لاداء واجبي .. الى اللقاء ايتها العزيزة
وانطلق من الغرفة .

* * *

عندما انصرف نورمان من غرفة باتريشيا في المرة الاولى .. خطا نحو غرفة القديس بضع خطوات .. ولكنه مالبث ان توقف .
ذلك انه سمع صوتا في تلك الغرفة يهتف بلهجة الأمر :
ارفعا ايديكما .
ولم يكن صوت القديس او صوت روجر .. فادرك ان ساعة النضال قد حانت .. فعاد الى باتريشيا وزودها بذلك المسدس .
ولما انصرف من غرفتها للمرة الثانية .. ارهف اذنيه .. وسمع صوت القديس وهو يقول بتهكمه المعهود :
— اهلا بك وسهلا .. لماذا لم يحضر معك صديقي (الموريلا) .. انني اكاد اموت شوقا اليه .
ولم ينتظر نورمان اكثر من ذلك .. فمشى بخفة .. وهبط

السلم مسرعا .. وقصد الى القبو .

وهناك تنقل من غرفة الى أخرى .. ومن الغرفة الثانية الى غرفة ثالثة .. وكان يغلق الأبواب وراءه حتى لا ينبعث من القبو صوت يلفت الانظار .

وانتهى نورمان اخيرا الى غرفة فارجان . ففتحها .

كان فارجان جالسا على احد المقاعد .. وقد انسدل شعره الأبيض الطويل على كتفيه .

ورفع الشيخ وجهه النحيف الممتقع .. ونظر الى نورمان بعينيه اللامعتين .

وهنا لم يتمالك نورمان من أن يشعر بالرحمة والاشفاق على هذا المخلوق التعس .. بيد انه ملك نفسه في الوقت المناسب .

لم يكن ناقما على الشيخ ذاته .. بل كانت نقمته منصبة على جنون الشيخ .. ذلك الجنون الذى يوشك أن يخرج العالم سلاحا من أهول الأسلحة التى تفتق عنها عقل انسان .

وكان الشيخ فى شغل بالكتابة .. فلما رأى نورمان امامه .. اسرع ودس أوراقه فى جيبه .

قال له نورمان :

ــ لقد جئت لأعرف جوابك يا استاذ فارجان .

فنظر اليه فارجان باحتقار ولم يجب .

قال نورمان :

ــ انني انتظر جوابك يا سيدى .

فأجاب فارجان بصوت خشن :

ــ لقد سبق أن اجبت .

ــ فكر فى الامر جيدا .

ورأى فارجان فوهة المسدس مصوبة اليه فصاح :

ــ أيها المجرم الأثيم . أتريد أن تقتل العلم .. وتطأ بقدميك ثمرة جهود العلماء ؟

الفصل السابع عشر

الزائر الرابع

استطرد القديس :

ــ نعم .. اننا كنا فى انتظار (الفوريللا) واعوانه . ولكن ليس بمثل هذه السرعة . ولو كنت أبطأت قليلا ولم تأخذنا على غرة . اذن لاستقبلناك بما يليق بمقامك .

كان يتكلم . وقد رفع ساعديه فوق رأسه كما فعل روجر .

* * *

نعم . استطاع ذلك الشاب أن يأخذه على غرة . تدخل من نافذة الغرفة دون أن يشعر به احد . ولما شعر به القديس وروجر . وجدا مسدسه مصوبا اليهما .

عض القديس على شفته . وراح يسائل نفسه . ترى أين نورمان كينت . وأين باتريشيا ؟ وكيف يمكن تحذيرهما ؟

اذا لم يكن احدهما قد سمعه ، وهو الذى تعمد أن يتكلم بصوت مرتفع ، فلا شك انهما سيقعان فى الفخ . كما وقع هو وروجر .

أما الشاب الذى وثب من النافذة ، فانه راح ينقل البصر بينهما والمسدس فى يده ، ثم سأل :

ــ من هو ذلك الصديق الذى تشير اليه بكلمة « الفوريللا » ؟

فرفع القديس حاجبيه فى دهشــة وقال :

ــ الا تعرف الفوريللا ؟ لقد حسبتك من اعز اصدقائه . والظاهر اننى كنت واهمــا ، فلنترك الحديث عنه الآن .

ولنتكلم عن شخص آخر فكيف حال العزيز (تيل) ؟ الا يزال منتفخ البطن والاوداج ؟ انا اعلم انه ســوف يعتب علينــا لاننــا تركناه ليلة امس فى منزل بشــارع بروك مع مخلوق هزيل لا يملأ العين .

فقال الشــاب فى الحــال :

ــ اظن انك سيمون تمبــلار .

فأحنى القديس رأسه باحترام . وقال بلهجته التهكمية :

ــ هذا صحيح .. اسمح لى ان اتنبأ لك بمستقبل عظيم .. ولكن ما اســمك انت ؟ ان شــابا انيقــا رشــيقا مثلك لا يمكن ان يكون له اسم آخر غير (رودلف فالنتينو) . فهل هــذا هو اسمك ؟ .

فأجاب الشــاب بهدوء :

ــ انت رجــل عظيم كمهرج ، ولكنك سخيف كعراف ، وما دمت تريد ان تعــرف من انا ، فاعــلم اننى الــكابتن جيرالد هــاردنج ، الملحق بقلم المخابرات البريطانية .

ــ يسرنى ان اعرفك يا ســيدى .

ــ وصديقك هذا ، هل هو مستر كونواى ؟

ــ انك اصبت الهدف للمرة الثانية يا فتى ، وكل خوفى الآن هو ان تذكر لى اسم الشخص الذى سرقت منه هــذا الثوب الذى ارتديه .

ولكن يخيــل الى رغم وفرة محصــولك من المعــلومات العــامة ان هنــاك حقيقة خطيرة قد غابت عنــك .

ــ وهى ؟

ــ وهى ان وقفتنا هكذا ، وسواعدنا فوق رؤوسنا ، هى

وقفة متعبــة ، تمثل الحركة الدموية ، وفى استطاعتك ان توفر علينــا هذا التعب ، وتريحنــا من مســدسانا ومن هذه الوقفــة .

فقال هــاردنج :

ــ سأفعل ذلك ولكن حذار ان يأتى احدكما بحركة .

ووقف خلفهمــا ، وأخــرج مســدسيهما من جيوبهمــا ، فقال القديس بارتيــاح :

ــ شكرا لك .

واخرج لفــافة تبغ . واشعلها ببطء .

* * *

كانت حركاته منذ دخول هاردنج تدل على الطمأنينة وقلة الاكتراث بيد انه فى الواقع لم يكن مطمئنا ولا قليل الاكتراث .. ولكنه اعتاد ان يتظاهر بالطمأنينة كلما تجمعت السحب وانذرت بقرب العاصــفة .

وقد كانت مظاهر طمأنينته فى المواقف العصــيبة تخدع اعداءه . وتزعجهم .. وتشــعرهم بأن غريمهم لا يمكن ان يتكلم ويمزح بمثل هذا الهدوء الا اذا كان يضمر حيــلة . او يعتمد على نجدة لا شك فيها . وكثيرا ما كان القديس يفيد من شعور اعدائه بذلك .

بيد أن القديس كان يعتمد فى الخــروج من مأزقه الحالى على شخص واحد ، وهذا الشخص هو نورمان كينت .

لقد قال نورمان انه نسى علبة التبغ .. وانقضى من الوقت حتى الان اكثر مما يكفى لذهابه الى غرفته وعودته منهــا . واذن لابد ان يكون نورمان قد شــعر بما هنــاك ولابد ان باتريشيا قد علمت بالأمر ، ولابد ان يكون كلاهما فى شغل الان

بالبحث عن وسيلة لانقاذ الموقف .

ولكن ماذا فى استطاعتهما ان يفعلا ؟

تلك كانت المسألة التى اخـذ القديس يقلبهـا على كل وجوهها .

راح يفكر فى هذه المسألة على طريقته العادية التى جرى عليها كلما توقع امرا .

كان اذا أراد ان يتأهب لملاقاة خصمه ، وضـع نفسـه فى مركز الخصم وفكر فى الطريقة التى يبدأ بها الخصم هجومه ، ثم راح يتأهب لمقابلة هذا الهجوم .

أما الآن ، فانه وضع نفســه فى مركز صديقته نورمان ، وجعل يفكر فيما يستطيع نورمان عمله لانقاذ الموقف .

قال ليصرف انتباه هاردنج :

ـ انك شاب بارع .. فهل لى ان اعلم كيف حدث انك تقوم الان بمهمة تيل ؟

فأجاب الشاب :

ـ ان قلم المخابرات يتعاون مع رجال البوليس فى امثال هذه القضايا ، وقد كنت اتعاون مع تيل فى البحث عنكم فشرع هو يبحث عن طريق النهر . اما انا فأخذت ابحث برا .. ولما رأيت سيارتكم بالباب وفيها من الحقائب والامتعة ما يدل على انكم تتأهبون للرحيل لم يبق عندى شك فى امركم .

فهتف القديس :

ـ انك تستحق وساما على براعتك يا فتى .. ومن سوء الحظ اننى لا استطيع ان امنحك هذا الوسام ، ولكنى اعدك بأن اكتب الى وزارة الحربية لمكافأتك .

فقلب هاردنج شفته وقال :

ـ يعجبنى ثباتك وقوة اعصابك يا رجل .

ـ وانا من ناحيتى اعجب ببسالتك ، واقرأ على وجهك

انك كنت شابا مستقيما ، ثم انحرفت عن سواء السبيل .

كان ينبغى أن تكون واحدا منا ، والواقع ان فى عصابتنا وظيفة خالية ، فهل يوافقك أن تشغل هذه الوظيفة ؟

ـ شـــكرا لك .

ـ اذن هل من خدمة اخرى تستطيع أن نؤديها لك ؟

* * *

كان القديس يتكلم .. ويفكر بسرعة البرق .

ما دام هاردنج يتعاون مع تيل .. فلابد أنه علم من قبل أن هناك شخصين يعملان معه (أى مع القديس) .. فهل ترى غفل هاردنج عن وجود الشخص الثالث ؟

قال هاردنج :

ـ كان تيل واثقا منذ البداية من وجود اصبعك فى هـذا الحادث . وقد قال لكل انسان قابله أنه على استعداد لان يأكل قبعته اذا لم تكن انت الذى اختطفت مارجان .

فابتسم القديس واجاب :

ـ ترى اية قبعة تلك التى كان ينوى تيل ان يأكلها ؟ اهى القبعة القذرة التى يضعها على رأسه عادة .. او القبعة الحريرية التى يغطى بها بعض المتديلات الليلية ؟

ام لعل عنده قبعة ثالثة وهو ما يستغرب من موظف نزيه مثله .

فلم يبتسم هاردنج .. بل صعد محدقه من قمة رأسه الى أخمص قدميه ، ثم نظر من النافذة التى تشرف على الحديقة والنهر .. فهم القديس بأن يتقدم الى الامام ولكنه عدل عن ذلك .

كانت المسافة بينه وبين هاردنج كبيرة .

قال الشاب فجأة :

ــ اين فارجان ؟ هل هو فى المنزل ؟

فلزم القديس جانب الصمت .. ولكنه لاحظ النظرة الصارمة التى حلت فى عينى الشاب محل الهدوء والدعة .

ــ انا لا اعلم لماذا اختطفتم فارجان .. فهل فعلتم ذلك لحساب احد ؟!

ــ اننا نعمل لحساب انفسنا ، فهذا المنزل ملىء بالصراصير .. وقد عجزنا عن ابادة هذه الحشرات بمختلف العقاقير .. وفكرنا اخيرا فى ان الاستاذ فارجان ربما استطاع انقاذنا منها باحدى الوسائل العلمية المفيدة .

فقال هاردنج بشىء من الخشونة :

ــ ارجو ان تترك الدعابة جانبا .

ــ ما دمت تريد حديثا جديا . فاعلم اذن اننا اختطفنا فارجان ، لاننا لا نريده ان يبيع اختراعه . ولا نريد اختراعه على ان يستخدم فى الحروب .

ــ هذه هى نظرية المفتش (نيل) .

ــ اذن فقد ظلمت (نيل) حين شككت فى ذكائه .

ــ وهل الغرض الذى ترمون اليه هو خدمة الانسانية ؟

ــ نعم .. ولهذا حدث التصادم بيننا وبين (الغوريللا) لانه لا يضمر للانسانية خيرا .

فظهرت علامات الحيرة على وجه هاردنج وسأل :

ــ من هو هذا المخلوق الذى تسميه (غوريللا) ؟

ــ انه رجل من اصحاب الملايين الذين جمعوا ثرواتهم الضخمة من اثارة الفتن والاتجار بالاسلحة والاسرار الدولية .

فلمعت عينا هاردنج وسأل :

ــ هل هو عملاق ضخم الجسم دميم الخلقة .. يشبه الغوريللا ؟ اذن فانت تعنى الدكتور ماريوس .

ــ هو بعينه . الم اقل لك انك تستحق وساما على ذكائك . لا شك اننى سأكتب لوزارة الدفاع فى هذا الصدد .

ــ لقد توقعنا منذ البداية ان للدكتور ماريوس اصبعا فى هذه الحوادث .

ــ كيف ذلك ؟ الم يحدثك (نيل) بالدور الذى لعبه ماريوس ؟

ــ كلا .. ان رجال البوليس لا يتعاونون باخلاص مع رجال قلم المخابرات فكل من الطرفين يريد أن يكون له وحده فخر الانتصار .

هل تعرف شيئا غير ذلك ؟

فهتف القديس :

ــ بل اعرف اشياء كثيرة .. واستطيع ان اسبق نيل فى كل ميدان حتى فى ميدان سباق الخيل .

اما عن براعتى فى الاستدلال والاستنتاج فحدث ولا حرج .. واذا اردت ان اذكر لك شيئا على سبيل المثال .. قلت لك جازما ان احد اتباع ماريوس كان يتعقبك اليوم . وانك لم تشعر به .

ــ ان نصف هذا الاستنتاج صحيح .. والواقع اننى شعرت به وتخلصت منه على مسافة ميل من هذا المنزل .

وصمت لحظة ثم استطرد :

ــ واستطيع ان اقول لك اكثر من ذلك اننى ما كنت اعجل باقتحام هذا المنزل بمفردى ودون انتظار معونة او مدد .. لولا شعورى بأن هناك من يهمه أن يسبقنى .

ولذلك ايضا اطلب اليك ان تسلمنى فارجان فى الحال .

فجلس القديس على حافة الطاولة التى تفصل بينه وبين هاردونج وارسل من فمه سحابة دخان كثيفة .

فقال ببطء :

— أهذا ما تبغى ؟
فأجاب الفتى باختصار :
— هذا ما ابغى .. وانى امهلك دقيقتين للتفكير واتخاذ قرار .
— واذا امتنعت من اتخاذ قرار .. او بمعنى آخر .. اذا رفضت تسليمك تارجان ؟
— فى هذه الحالة لا اتردد فى اطلاق الرصاص على ساعديك وقدميك وكل عضو آخر فى جسمك بحيث لا ادعك تموت قبل ان ترشدنى الى مقر تارجان .
هز القديس رأسه وقال :
— انك لا تعرف طباعى يا كابتن هاردنج .. فانا رجل عنيد .. والالتجاء الى الخشونة فى معاملتى لا يزيدنى الا عنادا .
— كذلك سيكون نصيب صديقك هذا كنصيبك .
نظر القديس الى روجر وسأله وهو يبتسم :
— هل تتكلم اذا قتلك يا روجر ؟
فأجاب روجر :
— طبيعى اننى لا اتكلم .
فقال القديس :
— اسمعت يا سيدى الكابتن ؟ ان قتلنا لا يفيدك .
— سوف نرى
وكان جهاز التليفون موضوعا على طاولة صغيرة بالقرب من النافذة فقصد الكابتن هاردنج الى هذه الطاولة دون ان يحول فوهة المسدس عن القديس وروجر .
تناول السماعة وهتف :
— الو .. آلو .. آلو .

ثم نظر الى ساعته وقال :
— انى امهلتكما دقيقتين .. وقد مرت الان خمس عشرة ثانية .
وهتف :
— آلو .. آلو .. آلو ..
وارهف اذنيه قليلا . ثم وضع السماعة .. وقطب حاجبيه .
ادرك القديس ما هنالك .
قال هاردنج بعد صمت قصير :
— كان معكما شخص ثالث تذكرته الان . فهل هو فى هذا المنزل ؟؟
فتجنب القديس الاجابة عن هذا السؤال بأن قال :
— هل قطعت المواصلات التليفونية ؟
— نعم ..
— اؤكد لك انه لا يوجد فى هذا المنزل من يهمه ان يقطع المواصلات التليفونية .
— اذا صح هذا ..
فقاطعه القديس بأن قال ببطء :
— ان الذى قطع الاسلاك التليفونية لابد أن يكون ماريوس او احد رجاله .. هل انت واثق انك تخلصت من الجاسوس الذى كان يتعقبك ؟
وكان روجر يطل من نافذة اخرى تشرف كذلك على النهر .. وعلى جانب من الحديقة .. فراى بضفة النهر زورقا بخاريا .. ولكنه يختلف عن الزورق الذى راى فيه المفتش فيل ..
قال موافقا :
— نعم . انه ماريوس او احد رجاله .

وفى هذه اللحظة . نهض القديس من مكانه فجـأة ...
وهتف :

ـ هاردنج ..

نطق بهذه الكلمة بلهجة غريبـة وصـوت مزعج كان من المستحيل ان يسمعه هاردنج دون ان يحول عينيه نحوه .

وكان هاردنج قبل ذلك قد نظر خلفه نحو النـافذة التى اطل منها روجر .. ليرى ماذا لفت نظر هذا الأخير .

فلما نطق القديس باسمه .. حول رأسـه بسرعة .. ونظر اليه فى دهشة وسأل :

ـ ماذا حدث ؟

وفى هذه اللحظة ، وثب نورمان من النافذة الخلفية بخفة .

واحس هاردنج فجاة بيد تقبض على سـاعده بقوة .. وبمسدس يلتصق فى ظهره .

وسمع صوت نورمان وهو يقول :

ـ الق بالمسدس على الأرض .. ولا تكن مغفلا .

فتردد هاردنج لحظة قصيرة .. ثم قال فى مرارة :

ـ حسنا .. لقد عرفتم كيف تتصرفون .

وترك المسدس فالتقطه القديس فى الحال .. وقدمه الى روجر :

ثم اخرج من جيب هاردنج المسدسين الاخرين اللذين كان قد انتزعهما منهما .. فشهرهما فى يديه .. وتراجع خطـوة الى الوراء وهو يقول :

ـ ها نحن قد ردت الينـا اموالنا .. واصبحنا جميعـا مدججين بالسـلاح . كاننا فى ميدان القتـال .. رفقه عنك يا عزيزى الكابتن .. ولا تنظر الى سـاخطا .. ان الحظ كقلب الحسناء .. لا يبقى على حال .

قال نورمان :

ـ اننى سمعتك تتحدث عن انقطاع المواصلات التليفونية .. وكنت على حق حين اكدت اننى لم اقطع الأسـلاك ... فماذا كانت ..

❋ ❋ ❋

لم يتم نورمان جملتـه .. ولابد ان صـوتا قطع عليـه الحديث .. ولكن احدا لم يسمع هذا الصوت .. كل ما هناك انهم راوا وجه نورمان يتقلص فجـاة .. ثم ابصروا به وهو يترنح ويسقط على احدى ركبتيه .

صاح قبل ان يصل الى الأرض :

ـ ابتعدوا عن النافذة .

ولكن القديس لم يعبا بهذا التحذير .. بل وثب الى الامام وحمل نورمان بين ساعديه .. وابعده عن النافذة .

وفى هذه اللحظة .. انطلقت رصاصة اخرى من مسدس صامت . فاصابت زجاج النافذة وهشمته .

صـاح القديس :

ـ انهم هنـا ..

وامر هاردنج ان يبتعد عن النافذة .. ولكن الشاب بقى فى مكانه اما روجر فانه وثب من منطقة الخـطر فى الوقت المنـاسب ..

واسرع القديس الى المائدة .. فرفعها بين يديه ، واتخذ منها درعا وهو يتقدم من النافذة .

اجال البصر فى الحديقة وراى شبحا يبتعد عن الأشجار .. فاطلق عليه رصاصتين .. ولكنه لم يعرف النتيجة .

تريث لحظة ثم رأى شبحا آخر . فاطلق رصاصة وسمع فى هذه المرة صيحة تدل على انه اصاب الهدف .

هتف وعيناه تلمعـان :

ـ لقـد بدات الحرب .

فقال ماردنج :
— هذا ما كنت اتوقعه . وعلى هذه المعركة يتوقف مصير الانسانية فاذا انتصر ماريوس . فقل على السلام الاوروبى السلام .
— لماذا تقول هذا الكلام ؟
فاجاب ماردنج :
— لانه يجب عليك ان تعمل فى صفنا . لا يهمنى من انت . ولا يهمنى ماذا صنعت . او ما هى غايتك من هذا النضال . انما المهم الان ان ماريوس عدنا . ويجب ..
وكان القديس يتكلم ويصغى ولا يحول عينيه عن النافذة . فهتف فجأة :
— ارى رجلا يلوح بمنديل ابيض ، انهم يطلبون التفاهم .
وحانت منه التفاتة الى احد جوانب الحديقة فراى طائفة من الرجال لا يقل عددهم عن سبعة .
قال محدثا ماردنج :
— ما رايك ؟ ماذا تفعل لو كنت فى مركزى ؟
فاجاب ماردنج على الفور :
— قابلهم واصغ الى حديثهم فلا يزال فى استطاعتنا ان نستانف القتال بعد ذلك .. انا واثق انهم سيستميتون فى القتال . ان المسالة مسالة اختراع يضمن الانتصار الحاسم السريع لمن يستولى عليه .

* * *

فحرك القديس يده امام النافذة حركة لها معناها . وفى الحال تقدم الرجل الذى كان يلوح بالمنديل ، فعرفه القديس وغمغم :

— انه ماريوس نفسه .
ثم التفت الى ماردنج وقال بحدة :
— لقد سمعت حديثك يا باكابتن . فكلانا يريد ان يمنع ماريوس من الاستيلاء على الاختراع . هذه هى نقطة الاتفاق بيننا . اما نقطة الخلاف فهى انك تريد الاستيلاء على الاختراع لمصلحة انجلترا .. ولكننا نريد ابادة هذا الاختراع بحيث لا يفيد منه احد .
فهل انت على استعداد للتعاون معنا ؟
اختر لنفسك احد امرين .. اما ان تنضم الينا او تبرح هذا المكان فى الحال . وتبحث لنفسك عن طريقة للنجاة من يد ماريوس ورجاله ..
اعلم ان هذا الاقتراح لا يخلو من القسوة .. ولكنى مرغم ان اضمك الينا او اتخلص منك . فما قولك ؟
اريد ان اعرف جوابك فى الحال .
فاجاب ماردنج :
— اننى ارسلت الى هذا المكان للبحث عن فارجان . واظن اننى وجدته .. واذن لن يكون بيننا سلام فيما يختص بهذا الرجل . ولكننا نستطيع ان نتعاون فيما عدا ذلك . نستطيع ان نتعاون فى التخلص من عدونا المشترك فهل فهمتنى ؟
— اتقترح ان نبرم فيما بيننا هدنة مؤقتة ؟
— نعم .. وها هى يدى .
وبسط يده . فشد عليها القديس .

الفصل الثامن عشر
الزائر الخامس

ركع القديس بجانب نورمان ليفحص الجرح الذى احدثته

الرصاصة فى فخذه .. واراد نورمان ان يصرفه من ذلك .. وان يحول انتباهه الى ناحية اخرى فهمس :

ــ هل نسيت باتريشيا ؟ انني تركتها فى غرفتها ؟

ــ اذن فهى فى مأمن مؤقتا .. وسابحث عنها متى فرغنا من ماريوس .. اما الان فيجب ان افحص الجرح . فحص القديس الجرح .. ولاحظ انه اكبر من ان تحدثه الرصاصة العادية ..

غمغم نورمان .. وهو يعض شفته حتى لا يصرخ من الالم ..

ــ انها هشمت العظام .. اليس كذلك ؟

فاخرج القديس منديله .. ومزقه .. وعصب به الجرح ثم ربت على كتف نورمان وقال :

ــ كن مطمئنا .. فالاصابة ليست خطيرة .. هل لك فى كأس من الويسكى ؟

ورغم الجهد الذي بذله القديس .. فان صوته اختلج وهو ينطق بهذه الكلمات ..

ولاحظ نورمان ذلك .. وأدرك ما هنالك .. ولكنه لم يضطرب ولم يجزع .. وتناول كأس الويسكى بيد ثابتة .

ورأى القديس من ركن عينه أن ماريوس يتداره عند النافذة .. فتظاهر بأنه لم يره .. وتعمد أن يتسكع بالقرب من نورمان .

ذلك لأنه كان فى أشد الحاجة الى التفكير قبل ان يبدأ مفاوضاته مع ماريوس .

استعرض الموقف .. ولم يتمالك من الابتسام .

كان قد قضى كل حياته فى تصيد المغامرات والبحث عن الاخطار ، ولم يدر بخلده يوما ان تبحث عنه المغامرات والاخطار بمثل هذا الالحاح ..

لم يكن ثمة شك فى دقة الموقف .. فالمنزل محاط برجال مدججين بالسلاح لم يفدوا الى ذلك المصيف لقضاء عطلة آخر الاسبوع . وهناك تيل يبحث عنه لمثل الغاية التى يرمى اليها ماريوس .

هذا من ناحية .. ومن ناحية اخرى توجد باتريشيا . وهى موضع ضعف لا ينكر .. ويوجد نورمان الجريح .. وهاردنج الذي يستطيع ان ينقض وعده عند اول فرصة .

* * *

تحول الى النافذة .. وفى عينيه نظرة هادئة وادعة ... وقال بلطف :

ــ طاب مساؤك يا صديقى الصغير .. لقد كنت اتوق الى مقابلتك .. وتجديد التعارف معك .. فالحياة بدونك لا تساوي شيئا .

فهز ماريوس كتفيه وقال :

ــ اعتقد انني سمعت قبل الان نماذجا من دعاباتك ..

واجال بصره فى جوانب الغرفة ثم استطرد :

ــ هل كل هؤلاء هم اعضاء عصابتك ؟

ــ آه .. يجب ان اقدمهم اليك .. فهذا الشاب الانيق هو الكابتن جيرالد هاردنج بطل العالم فى الاناقة .. وهذا هو الجنرال روجر كونواى بطل العالم فى الجمال .. وهذا القائد العظيم الملقى على الأرض هو الماريشال نورمان كينت بطل العالم فى ازدراد الويسكى .

ــ والانسة باتريشيا هولم ؟

ــ من دواعى الاسف انها ليست بيننا .. فقد اتصل بها ان اليوم عيد ميلادى .. فانطلقت لابتياع هدية تقدمها الى بهذه المناسبة .

— ذلك لا اهمية له .. هل تعلم لماذا جئتك الآن ؟
انني جئتك على امل انقاذ حياة بعض رجالي . لان بعض رجالي سيقتلون حتما اذا اشتركنا في معركة ؟
— هذا مؤثر للغاية .. هل افهم من هذا المسعى النبيل أن ضميرك يؤنبك من اجل الرجل الذي قتلته في (بيرز) .
— ذلك شأني .. فلا تفكر فيه .. والافضل لك أن تفكر في نفسك .. وفي مركزك .. اننا قطعنا جميع الاسلاك التليفونية في هذه الناحية .. فأصبحت اسرع وسيلة للاتصال بلندن .. هي الرحيل اليها بالسيارة .
ورجال البوليس في هذا المكان الهادىء يعدون على أصابع اليد الواحدة واذن فلا خوف منهم .
أما المفتش تيل . فانه بعيد عن هذه المنطقة .. وزيادة في الحيطة والحذر قد نصبنا له فخا لابد أن يقع فيه بما هو مأثور عنه من الذكاء . .
يضاف الى ذلك كله انني وضعت في مفترق الطرق طائفة من اعواني في ثياب البوليس .. لمنع الناس والسيارات من الاقتراب .. وتبرير دوي الرصاص بما يرونه من مبررات .
ولابد أن تنقضي ساعة قبل أن تصل اليك النجدة .. واذا جاءت النجدة ووجدتك على قيد الحياة ألقت القبض عليك .. ولن يكون في استطاعتك الليلة أن تخدعني بنجاح كما خدعتني ليلة امس .
— هل انت واثق من ان حادث امس كان خدعة ؟
— لو لم يكن خدعة لما وجدتك هنا .. هل تعتقد انني اجهل الاجراءات البوليسية ؟ لو أن تيل وجدك في بيرز ليلة امس لما اطلق سراحك بمثل هذه السرعة .
فقال القديس مفكرا :
— ألا يحتمل أن المفتش تيل قد بعث بي الى هنا ..

واتخذني فخا للايقاع بك ؟
فابتسم ماربوس .. ولم ير القديس هذه الابتسامة فما خطر بباله قط ان مثل هذا الوجه البشع يمكن ان يبتسم .
قال ماربوس :
— ان رجالي يتعقبون المفتش تيل منذ أن غادر لندن . وعندي من الاسباب ما يحملني على الاعتقاد بأنه لا يعرف مقرك .. ففكر في حيلة اخرى ايها الصديق .
وصمت لحظة ثم استطرد :
— لك ان تختار بين احد امرين .. اما أن تسلمنا مارجان او نأخذه منك قوة وقسرا .
فابتسم القديس واجاب :
— ولكن هب انك خسرت المعركة يا صاح ؟ انك لست في شيكاغو .. وليس في استطاعتك ان تحاصر منزلا في انجلترا وتطلق النار على سكانه دون ان ينزعج السكان ويسرعون للنجدة .
— انك لم تفهمني حق الفهم .. ان وطني بحاجة الى مارجان والى اختراعه .. وانا على استعداد في سبيل ذلك الى تضحية اي عدد من الارواح ترغمني الظروف على تضحيته .. وسيموت رجالي هنا عن طيب خاطر في سبيل وطنهم كما يموتون في ميدان القتال .
— وطنك ؟
— نعم .. وطني ..
فقال القديس بلهجة كضربات السوط :
— وطنك ؟ وهل لمثلك وطن ؟ هل يوجد في هذا العالم الفسيح شبر واحد من الارض يمكن ان تحبه الا لانه يأويك ؟ وهل هناك قوم تستطيع أن تصفهم بأنهم مواطنوك ؟ هل هناك قوم لا تضحي بهم بغير شفقة من أجل دريهمات تضعها في

جبيك ؟ هل لك مبدأ غير تحصيل الذهب يا ماريوس .. وهل تخلص لشيء غير جشعك وأنانيتك ؟

فانقلبت سحنة ماريوس قليلا ولكنه قال باصرار :

— اننى أعمل فى سبيل وطنى .

— قل لنا أية كذبة أخرى غير هذه يا ماريوس . وربما نصدقك .

— انى أعمل فى سبيل وطنى . وأولئك الرجال الذين يحاصرون هذا البيت .. قد وضعتهم بلادى تحت أمرنى .

— ألم يخطر لك ببال أننا ربما كنا أيضا على استعداد للموت فى سبيل أوطاننا ؟

— لقد خطر لى ذلك .

— وهل خطر ببالك أن اعتمادك على أماننا ربما كان خطأ . وأن أى قوة فى الوجود لا تمنعنا من الحنث بوعدنا واعتقالك والاحتفاظ بك كرهينة ؟

فابتسم ماريوس وأجاب :

— وهل خطر ببالك أن قدومى اليك لم يكن سوى خدعة لتحويل اهتمامكم .. ريثما يدخل رجالى الى هذا المنزل من الباب الآخر ويحتلونه ؟

ان الانسان ليس بحاجة لأن يكون شريفا .. اذا وجد مستقبل وطنه فى كفة الميزان .

والراية البيضاء قد تحترم فى ميدان القتال .. ولكن هذا ليس ميدان قتال فحسب .. انه ميدان الميادين .

فصوب القديس مسدسه الى صدر ماريوس وقال :

— اذن ستبقى رهينة عندنا .. واذا أقدم رجالك على ..

— ان حياتى ليست شيئا مذكورا . يوجد فى الخارج قائد آخر لا يتردد فى تضحيتى وتضحية كثيرين غيرى .

— ومن هو هذا القائد العظيم ؟

— هو صاحب السمو الأرشيدوق رودلف ؟

— آه ...

— انك أنقذت حياته منذ بضعة أسابيع . ولذلك أمرنى سموه أن أعرض عليك هذه الفرصة الوحيدة للنجاة .

— يا عزيزى .. أنا واثق أنك انما تعمل لنفسك وانك ما كنت تطيع الأرشيدوق الا لحاجتك الى معونة رجاله فى مهمتك القذرة .

— هذه مسألة ثانوية .. وأنا الآن أنتظر جوابك .

فهز القديس رأسه وأجاب ببطء :

— انت تعرف جوابى .

فانحنى ماريوس قامته باحترام .. واستطرد القديس :

— هناك سؤال أود أن أعرف جوابه .

— سل ما شئت .

— هل تعلم أن اختطافك نارجان لا يفيدك كثيرا فى حجب اختراعه ..

فقاطعه ماريوس :

— لقد أدركت غرضك .. أنت تعتقد أنك اذا أسلمتنى نارجان فان ذلك لا يمنع انجلترا وحلفاءها من الاستفادة من اختراعه .. ما دام أنموذج هذا الاختراع موجودا فى منزله .. وفى استطاعة الخبراء أن يصنعوا مثله .

ولكنك واهم .. فانه فى الوقت الذى كان فيه بعض رجالى يختطفون نارجان من منزله .. كان بعضهم الآخر يحطمون أنموذج اختراعه .. وقد تحطم هذا الأنموذج تماما .. وأصبح مستحيلا حتى على السير رولاند هيل أن يصلحه ويعيده للعمل .

— هذا أحسن نبأ سمعته منذ بضعة أسابيع يا عزيزى ماريوس .. ولولا بشاعة وجهك لألقيت بنفسى على عنقك

الضخم واشبعتك تقبيلا .

لقد ظننت انك حطمت النموذج .. ولكنني اردت ان اكون على يقـين .

فنظر اليه ماريوس فى دهشة ولم يفهم غرضـه .

قال القديس :

ــ واذن فالاستاذ فارجان هو حجر الزاوية ؟

ــ نعـم ...

ــ اليك جوابى اذن ..

اذا اردت فارجان .. فانتزعه منا قسرا اذا استطعت .. والا فاذهب فى حراسـة الشيطان .

فقال ماريوس :

ــ اذن تدعنى اقول لك بلسان الارشيدوق أن سـموه لا يعتبر نفسه مسئولا عن نتائج غباوتك .. وانه ..

وهنا هتف صوت فى داخل الغرفة :

ــ صـبرا لحظة .

كان المتكلم هو نورمان كينت .. وقد اخذ يحاول الوقوف رغم اصابته .. فاسرع اليه القديس . واحاطه بساعده . وهتف :

ــ ابق حيث انت ايها الصديق .. لماذا تزعج نفسـك ؟

فمرت على شفتى نورمان ابتسامة كالحة . واجاب :

ــ اريد أن اقف يا سيمون .

ووقف مستندا الى ساعد القديس .. ونظر الى ماريوس فى كبرياء وحزم . وقال :

ــ هب اننا اجبناك بأن فارجان ليس هنا .

ــ لا اظن اننى اصدقكم .

فقال نورمان :

ــ فكر فى الامر جيدا يا ماريوس .. انك لم تفهمنا حق

الفهم .. اننا اختطفنا فارجان صيانة للسـلام العالمى .. وابقاء على حياة الملايين .. وكان رجاؤنا أن نتفاهم معه . ونقنعه بضرورة اعدام اختراعه . والعدول عن استثماره .. ولكنه كان مجنونا ، فرفض أن يصغى الينا .

وصيانة للسـلام .. وابقاء على النوع البشرى .

وكف نورمان عن الكلام .. ومر بيده فوق جبينه .. ثم اعتدل فى مكانه .. وقال وهو شارد العينين كأنه ينظر الى افق بعيـد :

ــ وصيانة للسـلام .. وابقاء على النوع البشرى .. اقدمت الليلة على قتله بالرصاص كالكلب الكلب .

فصاح هاردنج وهو يتقدم الى الامام :

انت ...

ولكن روجر اسرع فوقف فى طريقه .

قال نورمان :

ــ نعم .. قتلته فى سـبيل الانسانية .. وفى سـبيل سعادة صديقى تمبلار كان تمبلار يؤمن اشد الايمان بضرورة قتل هذا العالم المخرب المجنون ولكنى كنت اعلم انه لا يمكن ان يعرضنى او يعرض روجر لتبعات هـذه الجريمة .. وانه مصمم على ارتكابها رغم نفوره الغريزى من سـفك الدماء .. فاردت ان انقذه من وخز الضمير . واقدمت بنفسى على قتل فارجـان .

صاح ماريوس وهو لا يصـدق عينيه :

ــ انت قتلت فارجان ؟

فاطرق نورمان برأسه دون أن يحول عينيه عن النافذة . استطرد قائلا بصوت هادىء :

ــ وجـدته يكتب .. وامامه بضع صفحات مكتوبة .. ولا اعلم ماذا كتب .. وهل تكفى البيـانات التى سـجلها

على الورق لصنع الاختراع او لا تكفى .. فانا لست من العلماء او الكيميائيين . ومهما يكن من أمر فقد اخذت الأوراق التى كتبها .. وكنت اريد احراقها . ولكنى ارجأت ذلك حتى اخف لنجدة صديقى القديس وروجر .

على انى سأحرقها الان امام انظاركم . وبذلك ينتهى كل شىء .

اعطنى عود ثقاب يا سيمون .

ودس يده فى جيبه ليخرج الاوراق . وهنا اتى ماريوس بحركة ليشهر مسدسه .. فوثب عليه روجر .. والصق المسدس بصدره وهو يقول :

ـ صبرا يا ماريوس . حتى ترى الفصل الأخير من مأساة فارجان .

وكان القديس قد وضع احد مسدسيه فى جيبه عندما خف لمساعدة نورمان على النهوض .. وقد اراد الان أن يخرج علبة الثقاب من جيبه بيده الطليقة فوضع مسدسه الثانى على حافة المنضدة .

ولم يلاحظ القديس ان الحركة التى اتى بها روجر عندما وثب نحو ماريوس قد غيرت طبيعة الموقف . وتركت هاردنج بعيدا عن مراقبة روجر .

لم يلاحظ القديس ذلك او قل انه لاحظه ولكن بعد فوات الوقت فقد وثب هاردنج باسرع من لمح البصر . واختطف المسدس الذى تركه القديس على حافة المنضدة فشهره فى يده واخذ يتراجع حتى التصق بالجدار ثم صاح موجها كلامه الى روجر :

ـ الق بمسدسك .

فنظر روجر خلفه .. ورأى المسدس مصوبا اليه .. ولاحظ ان الشاب يستطيع ان يرديه قتيلا قبل ان يتمكن من ان يدور على عقبيه . استطرد هاردنج :

ـ الق بمسدسك . اننى امهلك ثلاث ثوان .

واشفق روجر اذا هو تحول الى الخلف ان يجد ماريوس فرصة سانحة لاشهار مسدسه .

لم يجد بدا من الرضوخ فترك المسدس يسقط على الأرض وهو يشعر بمثل المرارة التى شعر بها هاردنج من قبل عندما ارغم على تسليم مسدسه .

قال هاردنج :

ـ اضرب المسدس بقدمك لكى يصل الى .

فاطاع روجر . والتقط هاردنج المسدس الثانى .. وصوب المسدسين فى يديه نحو جميع من بالغرفة .

وهنا قال القديس بصوت فيه ما فيه من السخرية والاحتقار :

ـ ما ارخص كلمة الشرف عند رجال قلم المخابرات .

فقال هاردنج فى حزم :

ـ قد انتهت الهدنة التى كانت بيننا . ناولنى هذه الاوراق .

فانحنى القديس .. ومدد نورمان كيتت على الأرض بلطف .. وهو يفكر فى ذات الوقت فى مخرج من هذا المأزق .

وعندما رفع رأسه .. وجد ان عدد الأبطال قد ازداد واحدا ..

رأى امام النافذة شابا طويل القامة حسن الهندام ينظر الى داخل الغرفة فى هدوء وطمأنينة .

هتف الزائر الجديد قائلا :

ـ ماريوس .

فنظر ماريوس وراءه وصاح :

ـ الى الوراء يا صاحب السمو . بحق السماء .

ثم عقب على هذه الكلمات بعبارة بلغته الأجنبية .

ولكن الشاب اجاب بالانجليزية قائلا :

— ليس ثمة أى خطر .. وقد جئت استطلع أسباب إبطائك .

ودخل الغرفة بقلة اكتراث .. واجال الطرف بين الحاضرين ورأى المسدسين فى يد هاردنج .. فرفع حاجبيه قليلا .

وفى هذه اللحظة سمع القديس حركة خارج الغرفة فوثب الى الباب وأغلقه والقى وراءه دولابا للكتب .. ورفع الطاولة ووضعها فوق الدولاب لتحصين الباب .. ثم نظر الى الارشيدوق طويلا وقال فى تهكم :

— وإذن فأنت أيضا ممن يحترمون كلمة الشرف يا صاحب السمو .. فأجاب الأرشيدوق وهو يفتل شاربيه :

— انى أمهلت ماريوس الوقت الكافى لعرض اقتراحى فلما أبطأ أدركت أنكم ضربتم بالهدنة عرض الأفق .. واعتقلتموه فأمرت رجالى بدخول المنزل .. وكان من حسن حظهم أنهم اعتقلوا احدى السيدات .

فامتقع وجه القديس واستطرد الارشيدوق :

— أقول من حسن حظهم . لأنها كانت تحمل مسدسا .. وكان يحتمل أن تقتل بعضهم أو تصرخ مستغيثة ولكنهم أخذوها على غرة . ولم يلحقوا بها أذى .

وصمت لحظة ثم قال :

— اذا لم يخطىء ظنى ولم تكن ذاكرتى قد أصابها ضعف أو وهن فانت مستر سيمون تمبلار أليس كذلك ؟

فابتسم القديس وقال :

— أظن ذلك .

فبسط الارشيدوق يده وقال :

— أعتقد أننى أدين لك بحياتى .. وكان بودى أن أعترف لك بهذا الصنيع فى ظروف أفضل . ولكنى أحب أن تعلم أننى لست ممن يجحدون بالمعروف .

ولكن القديس لم يتحرك من موضعه . ولم يتناول اليد التى بسطها له الأرشيدوق .

قال :

— انى انقذت حياتك يا سيدى الأرشيدوق لاننى لم أكن أنقم عليك أما الآن فانى على استعداد لقتلك .

فهز الأرشيدوق كتفيه وقال :

— نستطيع أن نتناقش فى هذا الموضوع . ولكنى أرجو على الأقل أن تأمر صديقك هذا بوضع مسدسيه فى جيبه . فمنظر هذه الأسلحة يضايقنى .

وهنا تقدم هاردنج خطوة . وخص الأرشيدوق وحده بأحد المسدسين وقال :

— اننى لست من أصدقاء مستر تمبلار ولكنى موظف صغير بقلم المخابرات السرية البريطانية . وقد أرسلت الى هنا لأخذ ماريجان . فلم أصل فى الوقت المناسب لانقاذه ولكنى وصلت فى الوقت المناسب لانقاذ ما هو فى أهميته .

أما أنت يا صاحب السمو فانك جئت بعد فوات الوقت .

الفصل التاسع عشر
التضحية

ساد الغرفة صمت عميق . استمر وقتا غير قصير . واخيرا تكلم ماريوس .

تكلم بتلك اللغة الغريبة . واصغى اليه الارشيدوق بانتباه . دون أن يطرأ على ملامحه شىء من التغير .

ولم يحاول القديس أن يقاطع ماريوس .

كان لابد من ايضاح الموقف . وما دام ماريوس قد بدأ هذه المهمة فيحسن اذن أن يمضى فيها الى النهاية .

وجد القديس ان الفرصة سانحة للتفكير فاستند الى الجدار وشرع يدخن فى هدوء ويفكر .

واخيرا تحول اليه الارشيدوق وقال بصوته الرزين الهادىء :

— فهمت الان اذن فقد فاجأكم هذا الشاب . ثم وجدتم انكم تعملون لغاية واحدة فتحالفتم ضدى اليس كذلك ؟

— انت رجل ذكى يا سيدى الارشيدوق .

— ولكنه نقض المحالفة دون أن ينذركم !

— اظن ذلك .. والظاهر ان الحمى اصابته عندما راى الاوراق .

— اليس لك نفوذ عنده ؟

— كلا ..

— ولكن هل الاوراق مع صديقك هذا ؟

واشار الى نورمان .

فقال هاردنج :

— نعم .. ولكن هذا الصديق تحت سيطرتى . فماذا فى وسعكم ان تفعلوا الان .

والواقع ان هاردنج كان الوحيد الذى يسيطر على الموقف فى تلك اللحظة . فنظروا اليه جميعا .

كان فى مقتبل العمر .. ولكنه نشيط تبدو على وجهه مخائل الذكاء والجرأة .

على أن سيطرة هاردنج لم تستمر طويلا . اذ لم يلبث نورمان ان انتزع منه بطولة الموقف .

رفع نورمان يده بحركة لفتت اليه الانظار وقال :

— ان عندى ما اقوله فى هذا الموقف .

كان يتكلم عادة فى هدوء . ولكن صوته فى هذه المرة كان اشد هدوءا وكانت عباراته واضحة جلية .

قال :

— ان الاوراق معى . وانا الان تحت رحمة الكابتن هاردنج كل هذا صحيح ولكن هناك حقيقة غفلتم عنها جميعا .

فهتف الارشيدوق :

— ما هى ؟

ولكن نورمان لم يجب . بل وجه كلامه الى الجميع .

نظر من النافذة الى الحديقة واشجارها .. واعشابها .. ثم مرت على شفتيه ابتسامة خفيفة .

قال ببساطة :

— ليس فى الاستطاعة ان يفوز الانسان بربح دون تضحية .

ثم التفت الى القديس واستطرد .

— ارجوك يا سيمون ان تثق بى . اننى اطعتك حتى الان طاعة عمياء . وكنت انفذ اوامرك دون مناقشة . لانك رجل مطبوع بالغريزة على تولى القيادة . ولان لك شخصية تحجب جميع الشخصيات التى تعمل معك . ولكنى ارجوك الان ان تترك لى حرية العمل .. لان هناك شيئا يمكن عمله .. ولا يستطيع احد سواى ان يعمله .

هل فهمتنى ؟

وتقابلت عيناه السوداوان اللامعتان بعينى القديس الصافيتين الهادئتين . وراى القديس فى عينى صديقه بريق العزم والحماسة .

وساد السكون لحظة ثم قال القديس :

— افعل ما تراه يا نورمان .

فابتسم نورمان وقال :

— ان مهمتى غاية فى البساطة .. لعلكم جميعا تفهمون الموقف ومبلغ تعقيده .

لدينا الآن سمو الأرشيدوق والدكتور ماريوس كرمينة .. ولكن الأرشيدوق وماريوس يحتفظان برهينة أخرى .. هي الآنسة باتريشيا هولم .

فالموقف من هذه الناحية متعادل .

فقال الأرشيدوق :

ــ انك تلخص الموقف تلخيصا بديعا .

ومضى نورمان في حديثه فقال :

ــ ثم لدينا الكابتن هاردنج الذي يسيطر على الموقف .. ولكن مركز الكابتن غاية في الدقة والحرج . وهو فيما اعتقد اضعف الجميع مركزا في هذا الموقف المعقد .

انه يعلم انكم تحتفظون بالآنسة باتريشيا كرمينة .. ولكن هذه الحقيقة لا تهمه .. فهو لم يعرف باتريشيا .. ولم يسبق له ان رآها .. يضاف الى ذلك انه يجب ان يفعل ما يحتمه عليه واجبه كموظف في علم المخابرات .. وقد ضرب لنا منذ دقائق مثلا عن مبلغ اخلاصه لواجباته . واهماله جميع الاعتبارات حيال هذه الواجبات .

فنحن اذن في موقف حرج يا سيدي الأرشيدوق ونحن كانجليز يحتم علينا ان نقف في صف الكابتن هاردنج ضدكم . ولكن واجبنا كرجال يفرض علينا ان نؤثر الموت على تعريض الفتاة التي اختطفتموها للخطر .

فالموقف الى هذه النقطة معقد بما فيه الكفاية . ولكن هناك اعتبار ثالث يزيده تعقيدا .. وهو انني وتمبلار وروجر قد حزمنا امرنا وقررنا ابادة الأوراق التي تصرون انتم والكابتن هاردنج على الاستيلاء عليها .

فقال الأرشيدوق :

ــ اعترف لك مرة اخرى بانك لخصت الموقف تلخيصا

دقيقا فابتسم نورمان كينت مرة اخرى وقال :

ــ اذن فانتم توافقون على ان سبب تعقيد الموقف هو ان كلا منا يريد ان يربح دون تضحية .. وان العقدة لا تحل الا بالتضحية .

على ان هناك تضحيات لا تسمى تسليما . ولا تمس الشرف .

واخرج من جيبه طائفة من الأوراق . وطواها بعناية وبسط بها يده . وهو يقول :

ــ تعال يا كابتن هاردنج .. خذ هذه الأوراق .

فصاح القديس وهو يثب نحو صديقه :

ــ نورمان هل جننت ؟

ولكن نورمان نظر اليه في ثبات وقال :

ــ لا تنس أنك تركت لي حرية العمل يا سيمون .

فصاح القديس :

ــ ولكني لم اسمح لك بتسليم هذه الأوراق .. لم اسمح لك بالاستسلام والاقرار بالهزيمة .

فأجاب نورمان :

ــ هذه ليست هزيمة .. انها الانتصار بعينه .

ولوح بالأوراق في يده .. ونظر نحو روجر .

وهنا تقدم هاردنج بسرعة .. ووضع احد مسدسيه في جيبه .. ومد يده ليتناول الأوراق .

وعندئذ تمم القديس الخدعة .

كان هاردنج ــ كما قال نورمان ــ وحيدا بين اعداء كثيرين . فلما هم بتناول الأوراق . لم يبق في يده غير مسدس واحد .. وكان هذا المسدس مصوبا الى روجر كونواي وحده .. لان روجر كان اقرب الجميع اليه

على انه اضطر ان يحول عينيه لحظة عن روجر لكى يتناول الأوراق .

وهذه اللحظة كان فيها الكفاية ..

بسط نورمان ساعده والأوراق فى يده .. ولكنه بدلا من ان يضع الأوراق فى يد هاردنج .. أطبق على اليد الممسكة بالمسدس . وضغط عليها بكل قوته .

وانطلقت رصاصة من المسدس ولكنها اصابت سقف الغرفة .

ووجد روجر الفرصة سانحة .. فهجم على هاردنج .. واختطف المسدس من يده .. وصوبه نحو الأرشيدوق وزميله .

ولحق به القديس على الاثر .. واهوى بقبضته على فك الشاب .. فسقط هاردنج على الارض . وانحنى القديس فوقه .. واخرج المسدس الثانى من جيبه .

حدث كل ذلك فجاة وبسرعة البرق . وفى اقل من ثانية . فلم تتح للأرشيدوق وماريوس فرصة للعمل .

وجفف نورمان العرق الذى تصبب على جبينه بسبب المجهود الهائل الذى بذله .

وقال روجر وهو يبتسم :

— قد انجلى الموقف كثيرا .

ولكن نورمان لم يكن قد اتم مهمته .

قال بحدة :

— اعطني هذه الاوراق يا سيمون .

وكان القديس قد التقط الأوراق عن الأرض ، فتردد قليلا وغمغم :

— ولكن ..

فهتف نورمان بلهجة الأمر :

— اعطنيها .. انك أوليتنى ثقتك فكنت عند حسن ظنك بى .

وتناول الأوراق ودسها فى جيبه ثم قال :

— اعطنى هذا المسدس كذلك .

فأطاع القديس :

وشعر القديس لأول مرة فى حياته بأنه ليس القائد . وليس الزعيم .. ولعل انبل ما فعله فى هذا الموقف انه نزل عن القيادة والزعامة عن طيب خاطر .. ومن غير حسد

ولم يكن بوسعه أن يفعل غير ذلك .. فقد كان نورمان هو رجل الموقف .. وكانت شخصيته القوية تحجب كل شخصية اخرى .

* * *

قال نورمان وهو يتناول المسدس :

— قد حللنا احدى العقد .. وبقيت عقدتان

* * *

ولم يكن الأرشيدوق قد تحرك من مكانه .

ظل واقفا بهدوء فى ذات المكان الذى احتله ساعة دخوله .. وقد شهد ذلك المنظر الاخير دون أن تتحرك عضلة واحدة فى وجهه .

كان كأنه قطعة من الصخر لا تهزها العواصف ولا تؤثر فيها الزوابع .

وقد انتظر حتى هبطت العاصفة .. ثم قال بصوت هادىء :

— أيها السادة .. اننى سمعت منكم الشىء الكثير ..

ولم أر منكم غير القليل .. بيد ان هذا القليل الذي رأيته يؤيد الكثير الذي سمعته فاذا خطر لكم في احد الايام ان تعتزلوا من حياة الجرائم والمغامرات فانه يكون من دواعي سروري واغتباطي ان اضمكم الى ..

فقال نورمان باختصار :

ـ شكرا لك .. ان ما تفعله الآن ليس جريمة .. وهو في نظرنا انبل من اي عمل تستطيع ان تضطلع به في حياتك .. ولكن لنختصر الكلام .. فالوقت ثمين . الا ترى معي يا سيدي الأرشيدوق ان الموقف تبسط . وان العقدة حلت الى حد ما ؟

فاطرق الأرشيدوق برأسه واجاب :

ـ اعترف بذلك والفضل فيه لك .

وهل تتركنا نذهب في سلام اذا اعطيناك هذه الاوراق ؟

ـ ذلك او ما يشبهه هو ما اقترحته عليكم منذ البداية .

ـ وماذا يضمن لنا انك تفي بوعدك ؟

فرفع الأرشيدوق حاجبيه قليلا واجاب :

ـ انني اعد بشرفي .

ـ اليس هناك ضمان غير هذا ؟

ـ اذا كانت كلمة الشرف لا تكفي .. فهناك المنطق .. ان هناك خمسة وعشرين رجلا يحتلون هذا المنزل والحديقة ويرابطون على شفة النور .. واشارة واحدة مني ..

وهز كتفيه ولم يتم عبارته بل استطرد :

ـ انكم تحت رحمتي .. ثم انه لا يوجد ما يدعوني الى الاضرار بكم متى اسلمتموني الأوراق .

لقد كان ولا يزال في استطاعتي ان اصل الى ما اريد دون ان اقطع على نفسي اي وعد . ولكني ما زلت اذكر ان

أحدكم انقذ حياتي .. ولهذا فقط اقترحت عليكم الاقتراحات وعرضت عليكم العروض حتى لا اكون ناكرا للجميل .

صحيح أن مستر تمبلار قد رفض أن يتناول اليد التي بسطتها لمصافحته ولكني لا احمل له حقدا او موجدة . لانني افهم شعوره .

فقال نورمان :

ـ مهما يكن من امر فانني اريد ان اكون على يقين اريد ان اطمئن .. ان الاوراق معي . فدع سيمون وروجر وباتريشيا يبرحون هذا المكان بالسيارة التي تنتظرهم في الخارج . وانا اضمن لك انهم لا يبلغون الامر الى البوليس . ولا يعودون الى مهاجمتك .

سأبقى هنا بنفسي كضمان . وسأقدم اليك الاوراق بعد نصف ساعة من رحيلهم .. وخلال هذا الوقت تبقى انت وماريوس امام فوهة مسدسي . لكي اضمن سلامة اصدقائي .

وهنا صاح ماريوس بحدة :

ـ يا صاحب السمو . هل نحن بحاجة الى التفاوض مع هؤلاء الناس ؟ كلمة واحدة الى رجالنا ..

ولكن الأرشيدوق اسكته باشارة من يده وقال :

ـ صبرا يا ماريوس . ان انكار الجميل ليس من شيمي هؤلاء الناس انقذوا حياتي . وسأقبل شروطهم على ما فيها من غرابة .

ثم تحول الى نورمان وقال :

ـ ولكن اسمح لي يا سيدي ان اقول لك فانني اذا شعرت بأنك تضمر لنا خيانة . فانني اصبح في حل من جميع وعودي .

فأجاب نورمان :

— طبعـا . هذا من حقوقك ..

وعندئذ اقترب الارشيدوق من النـافذة .. وأومأ الى احد رجـاله . فاقترب الرجل وتحدث اليه الارشـيدوق بلهجة حـازمة . فادى الرجل التحية وانصرف .

وتحـول الارشـيدوق الى القديس وقال بالانجليزية فى ادب :

— ان السـيارة فى انتظاركم ايهـا السـادة .

وهنـا نظر القديس وروجر الى نورمان فى قلق فابتسم هـذا الاخير .

وقال محدثا القديس :

— لا تنس انك وضـعت ثقتـك بى .. انا اعلم انك تحسبنى مجنـونا .

ولكنى أؤكد لك اننى لم اكن فى حيـاتى اعقل منى الآن .

اننى اهتديت الى الحـل الوحيـد الحـل الذى يضمن السـلامة ولا يمس بالشرف .

تحملق القديس فى وجه صـديقه .

حاول عبثـا ان يقرأ فى عينيه ما يدور بخـلده .. وحاول عبثـا أن يهتدى الى الخطة التى تفتق عنهـا ذهنه ..

كان يعلم ان نورمان لا يمكن ان يرضى بالهزيمة .. لان الهزيمة لا تعتبر « سلامة مع الشرف » فتسـاءل .. كيف سيحل نورمان هـذا الموقف .. وكيف سيخرج من هـذا المـازق وهو وحيـد جريح ..

ولكن نورمان كان رابط الجـاش .. ثابت الجنـان .. لا تدل ملامحـه على القلق او الخوف ، وينبعث من عينيـه وميض العزيمة . والثقة بالنفس .

وشـعر القديس بانه لا توجد اية وسيلة لخروج ثلاثتهم معـا فالارشيدوق يسيطر على الموقف سيطرة تامة وحتى

اذا لم تكن باتريشـيا فى خطـر وحتى اذا امكن قتـل الارشيدوق وماريوس والدخول فى معركة .. فهذه المعركة ستنتهى حتمـا بالهزيمة والموت .

قال القديس محدثا صديقه :

— الا تسمح لى بالبقـاء معك ؟ ان ثقتى بك لا حد لهـا ولكنى اعلم انك جريح .

فهز نورمان راسه واجـاب :

— كن مطمئنـا .. استطيع ان اخرج من هنـا محمولا .

فسـأله روجر :

— ومتى سنراك .

فاجاب نورمان وهو ينظر من النـافذة نظرات الحالم :

— ربما انقضى بعض الوقت قبل ان نتقـابل .

ثم تحول الى الارشـيدوق وسـال :

— هل استطيع أن اكتب كلمـة ؟

فاجابه الارشيدوق :

— ولكنى اذكرك بانك ستبقى هنـا ضـمانا لسـلوك اصدقائك .

— اعلم ذلك .. كن مطمئنـا .. ناولنى ورقة وقلمـا يا روجـر .

وتناول نورمان الورقة والقلم . وكتب بضع كلمـات ، ثم طوى الورقـة وقدمهـا الى القديس وهو يقول :

— ضع هـذه الورقة فى جيبك يا سـيمون . وعـدنى بالا تقراها قبل انقضاء نصف سـاعة .. وعندئذ تعلم اين تستطيع ان تجدنى .

والآن .. اتمنى لك رحـلة سـعيدة . ابلغ تحياتى الى باتريشـيا ..

وشد على يد القديس بحرارة . وصـافح روجر . ثم

يجر قدميه جرا حتى وصل الى النافذة .. فتطلع منها .
وانتظر .. الى ان راى سيارة اصدقائه تبتعد .. وعندئذ تهالك على احد المقاعد .

* * *

استولى عليه ضعف شديد . وبدا يشعر بالالام تحز فى فخذه الجريح :

اشار بيده الى زجاجة الويسكى والكؤوس وقال :

— تفضلا بتناول شىء من الويسكى .. اكون شاكرا اذا قدمت الى كاسا يا دكتور ماريوس .. فانى لا استطيع حراكا . وبهذه المناسبة ارجو ان تنصح رجالك بعدم استعمال رصاص (دمدم) . ان من الوحشية استخدام هذا النوع من الرصاص .

فقال الارشيدوق :

— ان الحرب لا ضوابط لها يا صديقى . اننى كرجل احبك واعجب بك . ولكنى كجندى لا اتردد فى قتلك اذا شعرت بانك تضمر لنا خيانة ..

* * *

واخذت الدقائق تجر بعضها بعضا ..

وجلس الارشيدوق على احد المقاعد وراح يدخن فى سكون .. اما ماريوس . فانه جعل يسير فى الغرفة جيئة وذهابا كالاسد السجين . ويرمق نورمان بين الفينة والفينة . بنظرات تفيض حنقا وكراهية .

قال له الارشيدوق اخيرا :

— ان قلقك يزعجنى ياماريوس .. الا تستطيع السيطرة على اعصابك ؟

فجلس ماريوس مرغما .

وفى هذه اللحظة .. تنهد هاردنج . وافاق من اغمائه .. فركع نورمان بجواره . وساعده على الجلوس .

واجال الشاب الطرف حوله .. وراى الارشيدوق وماريوس وراى المسدس فى يد نورمان .. فسال فى ذهول :

— اين الاخرون ؟

فاجابه نورمان :

— انهم ذهبوا .

واوضح له ما حدث باختصار ثم التفت الى الارشيدوق وساله :

— ماذا سيكون موقف الكابتن هاردنج بيننا ؟

فاجاب الارشيدوق بقلة اكتراث :

— اذا لم يتغلب عليه شعوره بالواجب .. فاننا نستطيع ان نسقطه من حسابنا فلا نقيم له وزنا .

فقال هاردنج وهو يترنح على قدميه :

— ولكنى لا استطيع ان اسقطكم من حسابى .

ثم التفت الى نورمان واستطرد :

— اصغ الى يا كبتن .. انت رجل انجليزى .. فهل تنسى قوميتك وتسمح لهؤلاء الاوغاد بان ..

فقاطعه نورمان اذ قال فى هدوء :

— صبرا .. ستعرف النتيجة بعد سبع دقائق .

فصاح الشاب :

— قبحك الله .. من جبان !!

ولكن نورمان ظل هادئا . ساكنا لا يشعر بغير الألم الهائل الذى ينهش فى فخذه .. فارتمى الشاب تحت قدميه .. وراح يتوسل اليه باسم الوطن أن يعطيه الأوراق ..

توسل اليه .. ووعد .. وهدد وارعد وارغى وازبد .

ولكن بغير جدوى ..

وانقضت الدقائق السبع . فنظر الأرشيدوق الى ساعته وقال :

— قد انقضت المهلة يا مستر كينت .

فصاح هاردنج ..

— بحق السماء يا نورمان .. فكر فى الامر ايها الجبان .. ايها النذل .. واعطنى هذا المسدس فأقاتلهم جميعا ..

فقال نورمان بهدوء :

— لا ضرورة للقتال ..

واخرج الأوراق من جيبه . وخيل اليه فى تلك اللحظة ان هاردنج يتحفز للوثوب على عنقه . لكنه صوبه المسدس ..

قال محدثنا الأرشيدوق وزميله :

— ها هى الأوراق التى وعدتكما بها .

فاختطف ماريوس الاوراق بيدين نهمتين .

وبذل نورمان جهود الجبابرة حتى استطاع ان يقف على قدميه .

كان شديد امتقاع الوجه . لامع العينين .

قال محدثنا هاردنج بسرعة وبلهجة الأمر :

— اقفز من هذه النافذة يا هاردنج .. واهرب بالزورق البخاري اننى لا ارى احدا به .

ودفعه نحو النافذة .. ووقف يحميه بجسده .

وهنا صاح ماريوس :

— مولاى .. هذه ليست اوراق فارجان ؟

فهتف الأرشيدوق بحدة :

— احقا تقول ؟

— نعم يا مولاى . انها رسالة خاصة باسم نورمان كينت . وليس فيها ما يهمنا .

فنظر الأرشيدوق الى نورمان بعينين ينبعث منهما شرر الغضب وصاح :

— انك خدعتنا .

فاجاب نورمان ببرود :

— هذه هى الأوراق التى وعدتكما بها .

فصاح ماريوس :

— ان الأوراق الحقيقية لابد أن تكون معه يا صاحب السمو .. لقد كنت أراقبه بعناية .. فلم تحن له فرصة لاعطاء الأوراق لصديقيه .

فقال نورمان بصوت فيه رنة الفوز والانتصار :

— أنت مخطىء يا ماريوس . انني دسست الأوراق في جيب التديس دون أن يشعر . دسستها في جيبه قبل قدوم الأرشيدوق .. عندما انتزع هاردنج مسدس التديس . فعلت ذلك كأنما بالهام . وكان الهاما موفقا . كان الهام النصر . لقد انتصرت عليكم .

وسمع خلفه حركة .. فالتفت ورأى هاردنج يثب من النافذة ويعدو في الحديقة .

مرت على شفتيه ابتسامة .

لم يزعجه انه بقي وحيدا ..

كان يعلم أن هاردنج سينطلق في طلب النجدة .. ثم ينطلق بعد ذلك في أثر التديس .

ابتسم مرة أخرى .. لأن التديس لابد أن يكون في هذه الساعة قد قرأ رسالته المقتضبة التي كتب فيها :

« الأوراق في جيبك فاحرقها .. لا انتصار بغير تضحية فوداعا » ..

* * *

ورأى نورمان مسدسا في يد ماريوس .. ورأى المسدس مصوبا نحو النافذة .. نحو هاردنج .. تسد

النافذة بجسده . ورفع مسدسه في يده وصوبه نحو ماريوس .

وانطلق المسدسان في وقت واحد . وسقط نورمان وماريوس في وقت معا .

(تمت)

مطبعة القاهرة الجديدة

٢٣ ش الجيش ـ ت ٩٠٤٢٨٦

رقم الايداع ٢٩٨٢ / ١٩٧٨

القديس

اخر الأبطال

قال القديس بلهجة كضربات السوط :

ـ وطنك ؟ وهل هناك وطن ؟ هل يوجد فى هذا العالم الفسيح شبر واحد من الأرض يمكن أن تحبه الا لأنه يأويك ؟ وهل هناك قوم تستطيع أن تصفهم بأنهم مواطنون ؟ هل هناك قوم لا تضحى بهم بغير شفقة من أجل تريهات تضعها فى جيبك ؟ وهل تخلص لشىء غير جسمك وأنانيتك ؟

الناشر
مكتبة رجب
١٧ شارع البندق
خلف مطافىء القاهرة

٢٠ قرشـا